الخدمة الإجتماعية
في مواجهة الأزمات والكوارث

القسم الأول: دراسة حالة لبنان بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ وبعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠

القسم الثاني: قراءة سريعة لبعض الخبرات الميدانية لعمّال/عاملات إجتماعيين/ات بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠

هيام سماحه قاعي
باحثة ومنسّقة البحث

ايمي غانم
مساعدة باحثة

تشرين الأول ٢٠٢١
نسخة محدثة نيسان
٢٠٢٤

Sworld Research Hub
thws Technical University of Applied Sciences Würzburg-Schweinfurt
DAAD Deutscher Akademischer Austauschdienst German Academic Exchange Service

المحتويات

شكر وتقدير..... 4
الخدمة الإجتماعية في مواجهة الأزمات والكوارث
القسم الأول:
دراسة حالة لبنان بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠وبعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠ 6
مقدمة 8
الأهداف العامة للبحث 10
المنهجية 10
العمل الإجتماعي في مواجهة الأزمات والكوارث 12
الجزء الأول (مرحلة الحرب اللبنانية ١٩٧٥ – ١٩٩٠) 12
الواقع اللبناني خلال هذه الفترة 12
المشاكل والصعوبات والحاجات الأساسية خلال هذه الفترة 15
العمل الاجتماعي خلال هذه الفترة 18
الجزء الثاني (بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠) 23
الواقع اللبناني خلال هذه الفترة 23
المشاكل والصعوبات والحاجات الأساسية خلال هذه الفترة 24
العمل الإجتماعي خلال هذه الفترة 25
الإستنتاجات والإقتراحات 28
القسم الثاني:
قراءة سريعة لبعض الخبرات الميدانية لعمّال/عاملات إجتماعيين/ات بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ 30
مقدمة 31
لائحة بالتجارب الميدانية التي استطعنا إلقاء الضوء عليها: 32
1. تجربة من خلال مركز حماية الأمومة والطفولة - حيّ الكرنتينا Centre de Protection Maternelle et Infantile MAS 34
2. تجربة من خلال جمعية أصدقاء مطاعم المحبة Restos du Cœur 34
3. تجارب من خلال الحركة الإجتماعية Mouvement Social 35
4. تجارب من خلال كاريتاس لبنان Caritas Liban 36
5. تجربة من خلال مركز المريجة للصليب الأحمر Croix Rouge Libanaise – Mreijeh- CRL 38
6. تجربة من خلال مركزالخدمات الإنمائية في برج البراجنة التابع لوزارة الشؤون الإجتماعية (مصلحة الإنعاش الإجتماعي سابقاً) Centre de Développement Social – MAS 39
7. تجارب من خلال جمعية خدمة الولد والأم في العائلة Service de l'Enfant au Foyer - SEF 39
8. تجربة من خلال جمعية الشبّان المسيحية- لبنان Young Men Christian Association - Lebanon –YMCA 41
9. تجربة من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط Middle East Council of Churches - MECC 42

10. تجربة من خلال مؤسسة التدريب على السمع والنطق Institut de Rééducation Audio-Phonétique 43
11. تجارب من خلال جمعية العناية الصحية Soins Infirmiers et Développement Communautaire-SIDC 44
12. تجربة من خلال المركز الإجتماعي لرعاية الأمومة والطفولة التابع لراهبات المحبّة – كرم الزيتون Karm El Zeitoun - Centre de Protection Maternelle et Infantile 44
13. تجربة لإثنتين من الكوادر التعليمية، بصفة فردية، في المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي- جامعة القديس يوسف - Ecole Libanaise de Formation Sociale Université Saint-Joseph, ELFS- USJ 45
14. تجربة من خلال المدرسة اللبنانية للتدريب الاجتماعي- جامعة القديس يوسف Ecole Libanaise de Formation Sociale - Université Saint-Joseph, USJ–ELFS 46
15. تجربة من خلال تجمّع المؤسّسات الأهلية في صيدا NGOs Platform of Saida 48 48
16. تجربة من خلال نادي حدائق الرابية 49
17. تجربة من خلال السيسوبل Service Social pour le Bien-être de l'Enfant au Liban- SESOBEL 50
18. تجربة من خلال مراكز متعدّدة لإيواء النازحين في الأوزاعي وضاحية بيروت الجنوبية 51
19. تجارب من خلال أرض البشر - لوزان Terre des Hommes - Lausanne 51
20. تجربة من خلال مستشفى دير الصليب للأمراض العقلية والنفسية- بقنّايا Hôpital Psychiatrique de la Croix - Bqennaya 52
21. تجربة من خلال جمعية دار الأمل Dar el Amal 52
22. تجربة من خلال إتّحاد حماية الأحداث في لبنان Union pour la Protection de l'Enfant au Liban - UPEL 53
23. تجربة من خلال مركز سن الفيل لمعاقي الحرب Centre Social pour Handicapés Physiques de Guerre - MAS 53
24. تجربة من خلال عمل رعوي- إجتماعي في منطقة البقاع الشمالي 54
خاتمة 56

شكر وتقدير

نود أن نتقدم بشكر خاص إلى **المساهمين** في هذا البحث:
- **النبذة التاريخية**: الأستاذ شارل الحايك

- **المساهمة في توثيق وتحليل أعمال الإغاثة بعد إنفجار ٤ آب**: السيدة ميرنا داغر من جمعية برّاد الحيّ، وفريق عملها: الآنسة جويل شعيا، والآنسة ايلينا رزق الله، والآنسة غايل كرم، والآنسة رينيه الخوري
- **المساهمة في جمع البيانات:** الآنسة جِنان أبو جودة
- **الطباعة:** الأستاذ شارل الشمالي
- **الصور الفوتوغرافية:** الأستاذ صالح الرفاعي والسيدة نادين الأشقر
- **الترجمة:** الآنسة بشرى أبيض
- **التدقيق:** السيدة منى جعفر الشعّار

الخدمة الإجتماعية
في مواجهة الأزمات والكوارث

القسم الأول
دراسة حالة لبنان بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠
وبعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠

أُجري هذا البحث كجزء من مشروع حوار التعليم العالي **"اللاجئون والمجتمعات المضيفة وأهداف التنمية المستدامة ٢٠١٩ - ٢٠٢٠"** The Higher Education Dialogue project "Refugees, Host Communities and the Sustainable Development Goals 2019 – 2020"، وقد تم إنجازه ونشره كجزء من مشروع شراكة التحوّل الألماني العربي The German Arab Transformation Partnership project الذي يحمل عنوان: **"العمل الإجتماعي الدولي في الأزمات- المواقف مهمّة ٢٠٢١-٢٠٢٢"** " International Social Work Acting in Crisis -2021 – Attitude Matters (AttiMa) 2022".

يهدف هذا المشروع إلى تعزيز مهارات العمّال الإجتماعيين على صعيد عالمي وإعدادهم بشكل مناسب للقيام بمهامهم المستقبلية. من جهة، يتّم ذلك من خلال التعاون في مجال البحث حول الواقع الذي يواجهه العمّال الإجتماعيون والخبرة التي يكتسبونها، ومن جهة أخرى من خلال تبادل الخبرات وإكتساب المعرفة والمهارات الملائمة والتعاون في مجال التدريب والإعداد، بهدف تحويل الصراعات إلى قدرة على الصمود وبناء المجتمعات، وبالتالي تطوير التعليم العالي في ألمانيا والأردن ولبنان (الشركاء في المشروع). تمّ تمويل كِلا المشروعين من قبل DAAD، بدعم من وزارة الخارجية الفيدرالية في ألمانيا وبرئاسة البروفيسور هانا رايش Hannah Reich، بالتعاون مع مساعد الباحث ليزا ميندز Lisa Mends في جامعة العلوم التطبيقية فورتزبورغ – شواينفورت (Würzburg- Schweinfurt THWS).

مقدمة

تقوم كلية العلوم الإجتماعية التطبيقية في جامعة العلوم التطبيقية في ألمانيا (THWS) بدراسة دور العمل الإجتماعي في إطاره الدولي وتتعاون في ذلك مع عدد من كليّات ومعاهد التدريب في لبنان منذ العام ٢٠١٨.

أدى إنفجار مرفأ بيروت في ٤ آب ٢٠٢٠ إلى تدمير المرفأ وأجزاء كبيرة من العاصمة بيروت، وتسبب بأضرار طالت عشرات الكيلومترات، وأدّت الى وقوع خسائر بشرية تعدّت الآلاف: وفاة أكثر من ٢١٢ شخص، وإصابة ٦٥٠٠ بجروح أو إعاقات دائمة، وتدمير ما يقارب ٧٧٠٠ منزل وتشريد أكثر من ٣٠٠ ألف من سكان بيروت. وتجدر الإشارة أن معظم من شُرِّدوا من منازلهم جرّاء الإنفجار ما زال أغلبهم خارجها.

تأثّر فريق العمل بهول الإنفجار وتداعياته على المجتمع اللبناني وبالمعاناة التي نتجت عنه، وتأثر خاصة بالقدرات الهائلة للجهات الفاعلة في المجتمع المدني- اللبناني في مواجهة هذه الكارثة. وجاءت المبادرة من قبل السيدة هيام سماحة قاعي والآنسة ايميه غانم، وهما شريكتان مع THWS منذ فترة طويلة، لإجراء بحث عن الخدمة الإجتماعية في حالات الأزمات والطوارىء في لبنان لتتلاقى مع تطلعّات مشروع THWS عن الحاجة إلى نقل المعرفة العملية القائمة على الخبرة الميدانية للعمّال الإجتماعيين، الذين واكبوا أعمال الإغاثة، وإدراجها ضمن برامج التعليم والتدريب على منهجيات العمل الإجتماعي لاحقاً. وتّم دعم هذه الدراسة التي سعت، من جهة، إلى توثيق أعمال الإغاثة من خلال مشاركة عمّال إجتماعيين من جمعية **"برّاد الحيّ"**، كانوا ناشطين في أعمال الطوارىء التي تمّت في أحد أحياء بيروت الأكثر تضرراً بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠، ومن جهة أخرى العودة إلى تجارب وخبرات ميدانية سابقة، قام بها عمّال إجتماعيون في حالات مماثلة، وبالأخص خلال فترة الحرب اللبنانية ما بين العام ١٩٧٥- ١٩٩٠، وإلقاء الضوء عليها ومن ثم مقارنتها مع تجربة ما بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠.

إنطلق هذا البحث في أيلول ٢٠٢٠ وتناول القسم الأول دراسة حالة لبنان بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ وبعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠ والقسم الثاني تناول قراءة سريعة لبعض الخبرات الميدانية لعمّال/عاملات إجتماعيين/ات بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠.

تناول القسم الأول جزئين، حاولنا في الجزء الاول إستنباط التجارب الميدانية من خلال مقابلات بحثية نوعية نصف موجهة مع ٣٥ عاملاً إجتماعياً حول خبراتهم في فترات

الحروب والأحداث الأمنية وتجاربهم خلال ممارستهم لمهامهم، وطالت بصورة خاصة الفترة الزمنية الممتدة ما بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ .

وركّز الجزء الثاني من القسم الأول على توثيق الخبرات الميدانية خلال الأشهر الثلاثة التي تلت إنفجار ٤ آب وإستشراف آراء العمّال الإجتماعيين في عدد من المؤسسات الإجتماعية التي كانت ناشطة في المنطقة المذكورة آنذاك.

سنتناول فيما يلي الأهداف العامة للبحث والمنهجية المتبعة ومن ثم ننتقل إلى الفترة بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ وبعدها نعرض لفترة ما بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠ ونخلص إلى إستنتاجات عامة وإقتراحات.

الأهداف العامة للبحث

يهدف هذا البحث إلى التعرُّف على أبرز الأحداث التي مرَّ بها لبنان منذ العام ١٩٧٥ حتى العام ١٩٩٠ وبعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠ والتي كان لها تأثير على العمل الإجتماعي، وإلى استنباط وسائل العمل التي لجأ اليها العمّال الإجتماعيون، كما وإلى التعرُّف على الخبرات الميدانية الّتي قاموا بها في مواجهة الأحداث الأمنية والأزمات الإجتماعية والإقتصادية والمآسي الحياتية التي تلتها. كما ويهدف إلى إلقاء الضوء على تفاعُل العمّال الإجتماعيين مع الواقع المعاش والتحدّيات التي واجهتهم من أجل الْحفَاظ علَى المنهجيات والمبادئ والأُسّس المهنية خلال ممارستهم الميدانية.

المنهجية

إعتمدت المنهجية على:

- قراءة الوثائق والمراجع والدراسات حول الموضوع المطروح
- لقاءات أولية مع عدد كبير من الأشخاص المعنيين، بهدف تحديد عناوين الذين أُجريت معهم المقابلات لاحقاً (informateurs-clés)، نظراً للتغيّرات التي طرأت على العناوين
- مقابلات نصف موجهة (entretiens semi-directifs)مع 35عاملا إجتماعيا تمّ اختيارهم تبعاً لسنة حيازتهم على شهادة الخدمة الإجتماعية (قبل ١٩٩٠) ونوعية عمل المؤسسة التي مارسوا فيها العمل الإجتماعي وانخراطهم في أعمال الإغاثة تبعا للمنطقة الجغرافية التي عملوا فيها. الهدف من ذلك كان إستهداف أكبر عدد ممكن من المناطق الجغرافية.
-

نشير هنا إلى أن خمسة أشخاص لم تتم مقابلتهم مباشرة بل بطريقة غير مباشرة من خلال أشخاص عرفوهم، وذلك بسبب وجودهم خارج البلاد أو بسبب الوفاة.

والجدير بالذكر أنه تمّ التوقف عند أبرز إنجازات من أُجرينا معهم المقابلات والتي حاولنا جمعها وتوثيقها بصدق وأمانة تبعاً لما نقلها لنا أصحابها.

وركزّت المنهجية في الجزء الثاني على:

- قراءة الوثائق والمراجع والدراسات حول الموضوع
- إجراء مقابلات نصف موجهة مع عدد من العمّال الإجتماعيين الذين واكبوا أعمال الإغاثة بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠ في منطقة مار مخايل - الجميزة وبلغ عدد المقابلات ١٢ مقابلة.

ولقد ساهمت الخبرة الميدانية للباحث خلال ٤٤ سنة متتالية (ما بين العام ١٩٧٠ والعام ٢٠١٤)، في إلقاء أضواء إضافيّة على الواقع المعاش.

أجريت المقابلات في الجزئين الأول والثاني مع "العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات" و"الإختصاصيين/ات في العمل الإجتماعي" و"المساعدين/ات الإجتماعيين/ات" الذين يمارسون مهنة الخدمة الإجتماعية، إنطلاقاً من شهادة معترف بها من إحدى الكليات والمعاهد المتواجدة في لبنان، والمرخص لها من قبل وزارة التربية والتعليم العالي. واعتمدنا في نصّنا هذا تسمية موحدة "العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات" ونعني بها جميع هؤلاء الأشخاص وهي مرادف لـ ""social worker، واعتمدنا "العمل الإجتماعي أو الخدمة الإجتماعية" كمرادف لـ "."social work

نؤكد هنا أنه ليس في نيتنا بتاتاً التفضيل بين فئة وأخرى بل أن اختيارنا جاء من منطلق إلمامنا أكثر بواقع "الخدمة الإجتماعية" من جهة، ومن جهة أخرى لعدم إستطاعتنا الإحاطة بمختلف إختصاصات وممارسات ومؤهلات بقية العمّال الإجتماعيين.

وكلنا يعلم أن العمل الإجتماعي هو رسالة قبل كل شيء والإختبار الأول فيها هو درجة الإلتزام بكرامة الإنسان وحقوقه وإمكانية تقديم الخدمات الملائمة له باحترام كلّي للأخلاقيات المهنية والإنسانية.

لا بد من ذكر بعض الصعوبات والمعوّقات التي واجهناها:

- صعوبة الوصول إلى الأشخاص المعنييّن نظراً للتغييرات التي طرأت على العناوين ومغادرة بعضهم البلاد
- صعوبة التواصل مع الأشخاص وصعوبة حصر المؤسسات والجمعيات التي كان لها مبادرات خلال الفترة الزمنية المحددة ونعتذر مسبقاً لكل من لم نستطع التواصل معه
- صعوبة الوصول إلى المراجع والمستندات بسبب الإجراءات الأمنية المتعلقة بجائحة كوفيد-١٩
- ضيق الوقت المتاح للبحث

بالنسبة إلى الجزئين أجريت المقابلات وجهاً لوجه في بادئ الأمر، ولكن بسبب تفشّي فيروس كوفيد-١٩، تمّت متابعة المقابلات عن طريق وسائل التواصل الإلكتروني وتضمّنت كل مقابلة تسجيلاً صوتياً (بموافقة المعنيين) واستغرقت المقابلات ما بين ٤٥ إلى ٦٠ دقيقة تمّ من بعدها تفريغ المعلومات وتحليلها.

العمل الإجتماعي في مواجهة الأزمات والكوارث الجزء الأول (مرحلة الحرب اللبنانية ١٩٧٥ ــ ١٩٩٠)

نتناول في ما يلي مرحلة الحرب الأهلية اللبنانية بين العام **١٩٧٥** والعام **١٩٩٠** ونحاول من خلالها العودة إلى الخبرات الميدانية في مجال العمل الإجتماعي لمواجهة ويلات الحرب والتهجير والقصف العشوائي.

الواقع اللبناني خلال هذه الفترة

بدأت الحرب اللبنانية في ١٣ نيسان **١٩٧٥**، واستمرت خمسة عشر سنة. شهدت الحرب جولات من النزاعات المسلحة الداخلية والتدخلات العسكرية الأجنبية والإجتياحات التي أدت إلى سقوط أكثر من ١٥٠ ألف قتيل ونزوح مليون مواطن لبناني داخل لبنان وإختفاء ١٧ ألف لبناني ووقوع خسائر تقدّر بـ ٢٥ مليار دولار وهجرة حوالي مليون لبناني، بالإضافة إلى المآسي الأخرى التي تنتج عن الحروب، كالقتل على الهوية والتهجير القسري وتشرّد وتشتّت العائلات وترمّل الأمهات وتيتّم الأطفال وإرتفاع معدلات البطالة والتسبب بالإعاقات الجسدية والأمراض النفسية وهجرة الشباب (قصير، سمير، ٢٠١٨).

تُقسم الحرب الأهلية اللبنانية إلى أربعة مراحل ما بين العام **١٩٧٥** والعام **١٩٩٠**. وفي ما يلي بعض الأحداث البارزة في مرحلة ما قبل الحرب الأهلية وخلالها:

مرحلة ما قبل الحرب الأهلية (صليبي، كمال، ١٩٧٦)

نشأت الدولة اللبنانية عام ١٩٢٠ في إطار تداعيات فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨). أُعلِنَت دولة لبنان الكبير في الأول من أيلول ١٩٢٠، ووُضِعَت تحت الإنتداب الفرنسي.

إكتسب لبنان إستقلاله على مراحل في إطار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥): وحدد ما يُعرف بالميثاق الوطني أساس النظام اللبناني. شهدت الجمهورية اللبنانية المستقلّة محاولات بناء المؤسسات، وتداعيات النزاعات الإقليمية، أي النكبة، وأول موجة نزوح (١٠٠ ألف فلسطيني) في ١٩٤٨، وإنشاء المخيمات الأولى حول المدن الرئيسية.

فشل النظام اللبناني في إدارة الشأن الإجتماعي والسياسي والإقتصادي، وأدّت التوترات الداخلية وتداعيات النزاعات الإقليمية وسياسات الحرب الباردة الى إندلاع الحرب الأهلية الأولى في القرن العشرين في صيف ١٩٥٨.

مع وصول الرئيس فؤاد شهاب إلى الرئاسة، بدأت فترة بناء المؤسّسات الحديثة في لبنان، وتمّ تكليف بعثة "إيرفد I.R.F.E.D." (لامبير، د. Lambert, D.، ١٩٦٨) لدراسة الواقع الإقتصادي والإجتماعي في لبنان. تجدر الإشارة أن معظم مؤسّسات الدولة في لبنان تعود إلى هذه الفترة. وشهد لبنان نمواً إقتصادياً فريداً من نوعه في هذه الفترة، ومحاولات تحديث إجتماعي وتوسع الطبقة الوسطى. حذّرت دراسة بعثة إيرفد التي ترأسها "الأب لويس- جوزيف لوبري Père Louis-Joseph Lebret"، من خطورة عدم إجراء الإصلاحات وعدم إعتماد سياسات الإنماء المتوازن، وما قد ينتج عن هذا من نزاعات داخلية.

لم تتمكن الشهابية من تحجيم نفوذ الزعامات الطائفية، وأدّت الهزيمة العربية عام ١٩٦٧، أي النكسة، الى وصول الموجة الثانية من اللاجئين الفلسطينيين مع سلاحهم، وإلى ارتفاع منسوب التوتّر على الصعيد الداخلي. وفي إطار هذا الواقع، أبرمت الدولة اللبنانية إتفاقية القاهرة عام ١٩٦٩، التي شرّعت العمل العسكري الفلسطيني انطلاقاً من الأراضي اللبنانية.

بدأ العد العكسي لإندلاع الحرب على خلفية الإنقسام الداخلي حول هوية وتاريخ لبنان وطبيعة النظام السياسي واللجوء الفلسطيني ومعدّلات التفاوت الإقتصادي والإجتماعي الكبير. بدأت مرحلة التسلح المتبادل الداخلي، واستمرّت من ١٩٦٩ إلى إندلاع الحرب في ١٣ نيسان **١٩٧٥** (طرابلسي، فواز، ٢٠١٢).
من جهة، إتخذت الإشتباكات شكل حرب أهلية بين اللبنانيين أنفسهم، ومن جهة أخرى، شمل العنف أعمال عدائية بين المسيحيين اللبنانيين والفلسطينيين.

المرحلة الاولى: النزاع الداخلي (١٩٧٥- ١٩٧٨) (أميو، هرفي Amiot, Hervé. ، ٢٠٢٠)

بدأت الحرب الأهلية اللبنانية في بيروت في نيسان ١٩٧٥، كنزاع مسلّح بين الكتائب اللبنانية والفصائل الفلسطينية. إتخذت دوّامة العنف شكل حرب العصابات في المناطق الحضرية (إغتيالات، كمائن، معارك شوارع)، أشعلت لاحقاً الصراع في كل البلاد إنطلاقاً من بيروت. شهدت هذه الفترة الأولى معركة الفنادق وحرب السنتين ودخول قوات الردع السورية عام ١٩٧٦.

أدّى القتال إلى تدمير وسط بيروت التجاري والخدماتي، ما أشار إلى موت المدينة والنموذج الإقتصادي والسياسي اللبناني. كما وأدّى إلى تقسيم بيروت إلى بيروت الشرقية وبيروت الغربية، يفصل بينهما ما يُعرف بالخط الأخضر.

كانت موازين القوى خلال هذه الفترة لصالح الحركة الوطنية وحلفائها الفلسطينيين، لكن تدخل قوّات الردع، والتي كان قوامها ٣٠ ألف جندي سوري، حجّم تقدمهم.

المرحلة الثانية: الإجتياحات (١٩٧٨- ١٩٨٢)

شهدت هذه الفترة من الحرب الأهلية اللبنانية الإجتياحات العسكرية الضخمة. وكان أولها "عملية الليطاني"، أو الإجتياح الإسرائيلي الأول. دامت العملية ٦ أيام، وأدّت شدّة القتال ووقعه على المدنيين، بالإضافة الى الجهود الدبلوماسية اللبنانية، إلى إصدار مجلس الأمن في الأمم المتحدة القرار ٤٢٥ والقرار ٤٢٦، الداعين إلى إنسحاب القّوات الإسرائيلية من لبنان، وإلى إنشاء قوات اليونيفيل التي ما تزال تنشط في مهمة حفظ السلام في جنوب لبنان.

كما وشهدت هذه المرحلة المذابح الطائفية التي كان هدفها خلق مناطق ذات هويات طائفية محددة، وخلق جغرافية طائفية جديدة.

في صيف **١٩٨٢**، بدأ الإجتياح الإسرائيلي الثاني، أو عملية "سلام الجليل"، التي أدّت إلى فرض حصار عنيف على بيروت بهدف طرد منظّمة التحرير الفلسطينية من المدينة. قُصفت الأحياء المدنية بشدّة من قبل الجيش الإسرائيلي، وسقط عدد كبير من الضحايا المدنيين. إنتهت العملية بخروج منظمة التحرير من بيروت وبدخول القوات المتعددة الجنسيات إلى بيروت بمهمة حفظ السلام.

إحتلّت إسرائيل، إثر الإجتياح الأول والثاني، ما يقارب ١٠٪ من مساحة لبنان، وإستمرّ هذا الإحتلال حتى عام ٢٠٠٠.

المرحلة الثالثة: الإنقسام والدويلات (١٩٨٢- ١٩٨٨)

تحوّل إنقسام لبنان إلى شبه دويلات طائفية، وانتُخب بشير الجميّل في آب ١٩٨٢ رئيساً للجمهورية، قبل أن يتمّ اغتياله بعد ١٠ أيام من توليّه منصبه. شهدت هذه الفترة "حرب الجبل" التي نتج عنها مذابح متبادلة بين المسيحيين والدروز في جنوب جبل لبنان في ١٩٨٣، وحركة تهجير للمسيحيين من هذه الأجزاء من جبل لبنان نحو مناطق سيطرة المسيحيين. كما واندلعت معارك شرق صيدا بين ١٩٨٤ و١٩٨٥، ومعارك طرابلس بين ١٩٨٣ و١٩٨٥. بلغ الفصل الطائفي ذروته في هذه المرحلة، وفرضت المليشيات نفسها

كبديل عن الدولة في جيوب طائفية شبه مغلقة، زادت جولات الإقتتال المتتالية فيها من حدة الأزمات الإجتماعية.

المرحلة الرابعة: نهاية الحرب (١٩٨٨- ١٩٩٠)

في إطار أزمة إنتخاب رئيس جديد للجمهورية، تمّ تعيين قائد الجيش ميشال عون على رأس حكومة إنتقالية حصلت على شبه إعتراف بشرعيتها في المناطق المسيحية، واستمرّ الإعتراف بحكومة سليم الحص في بيروت الغربية.

في ١٤ آذار ١٩٩٨، بدأ العماد ميشال عون وقوّات الجيش اللبناني التي كانت تحت قيادته **"حرب تحرير"** معلنة من جانب واحد ضد كل القوّات الأجنبية في لبنان، موجهة بشكل حصري ضد السوريين. كانت لهذه الحرب عواقب وخيمة، ولم تتمكن من تحقيق أي تقدم. ومع نهاية الحرب الباردة، تحوّلت المساعي إلى إنهاء الحرب اللبنانية وإلى مشروع سلام داخلي تمّت ترجمته بدعوة ٦٢ نائباً لبنانياً (الذين ما زالوا على قيد الحياة من أصل ٩٩ نائباً الذين تمّ إنتخابهم في عام ١٩٧٢) إلى الإجتماع في مدينة الطّائف في المملكة العربية السعودية. وفي ٣٠ أيلول ١٩٨٩، تمّ التوصّل الى ما يعرف بوثيقة الوفاق الوطني، وعُدّل الدستور اللبناني ١٩٤٣.

شكّل إتفاق الطائف بداية عملية المصالحة الوطنية اللبنانية بدعم فاعل من سوريا والدول العربية والمجتمع الدولي. لكن قبل البدء بتنفيذ إتفاقية الطّائف، إندلعت حرب أخرى في ٣٠ كانون الثاني ١٩٩٠ بين القوّات اللبنانية وفرق الجيش اللبناني التي كانت تحت قيادة الجنرال ميشال عون. كانت هذه الحرب غير حاسمة عسكرياً وأدّت إلى تفاقم الواقع الحياتي والإجتماعي المزري في لبنان. ومع سقوط القصر الرئاسي في بعبدا في ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠، إنتهت الحرب الأهلية اللبنانية باحتلال سوريا ٩٠٪ من لبنان، وإسرائيل ١٠٪ من أراضيه (أميو، هرفي ٢٠٢٠، Amiot, Hervé).

كانت نتائج الحرب مع كل ما خلّفته من مآسٍ وخراب مادي ومعنوي، كثيرة ومتعددة ولعلّ الدمار المعنوي كان أكبر وقعاً وأكثر إيلاماً لأن إعادة ترميمه أصعب وأطول.

المشاكل والصعوبات والحاجات الأساسية خلال هذه الفترة

تجاه هذه الأوضاع كان على العمل الإجتماعي التعاطي والتكيّف مع واقع جديد، حيث توقّف الكثير من المؤسّسات الإجتماعية عن أداء أدواره الإعتيادية، ودخل مفهوم العمل الإجتماعي في دوّامة العمل الإغاثي الآني والسريع، تجاوباً مع الحاجات والمشكلات المتعددة الأوجه التي طرحت نفسها على الساحة. ولعلّ مشكلة المهجّرين والنازحين كانت

من بين المشاكل التي تركت وراءها ذيولاً إجتماعية ونفسية واقتصادية وحياتية متعدّدة. وكان لا بد من تلقّفها من قبل العمّال الإجتماعيين في حينه.

تمحور العمل الإغاثي في مراحله الأولى حول أعمال إيواء النازحين من أفراد وعائلات بكاملها في المدارس والكنائس والجوامع والأماكن العامة، وتنظيم وتوزيع المساعدات الأساسية، من مأكل ومشرب ودواء، والإهتمام بالفئات المعرّضة، كالأطفال والمسنّين والنساء الحوامل، وغيرها من أعمال الإغاثة الأولية.

إلى جانب ذلك وخلال فترات قصف الأحياء المدنية، كان الكثير من العمّال الإجتماعيين إلى جانب المتطّوّعين المحليّين، يعملون في الأحياء التي كانت تتعرض للخطر داخل الملاجئ التي كان يتجمّع فيها السكّان هرباً من القصف الذي كان يستمر في بعض الأحيان أياماً عديدة. إهتم هؤلاء بالأطفال وبتنظيم الحياة الجماعية في الملجأ: كتأمين وصول مياه الشرب والخبز والدواء ومعالجة النفايات وغيرها من الأمور الحياتية العادية. كل ذلك في ظل أوضاع أمنية صعبة منعت التنقّلات والتواصل بين الأحياء وأجبرت الكثير على المكوث في بيوتهم أو في الملاجئ لفترات طويلة. وكان دور العمّال الإجتماعيين بارزاً خلال هذه الفترة.

بعد أعمال الإغاثة الأولية جاءت المرحلة الثانية من أعمال الإغاثة التي تمحورت حول تنظيم الحياة الجماعية في تجمعات المهجّرين والنازحين (من مدارس أو كنائس أو جوامع أو أماكن عامة) وتأهيلها لتستطيع استقبال العائلات بشكل لائق يحترم أبسط وسائل العيش، من دورات مياه ومطابخ مشتركة وتقسيم مساحات العيش بطريقة تؤمّن خصوصية كل عائلة. وتمَحور العمل كذلك حول مساعدتهم في التعرّف على المحيط الجغرافي الجديد ومواكبتهم في تسيير أمورهم الحياتية، والإهتمام بحالات الكآبة واليأس والعوارض النفسية ومعالجة النزاعات والعنف والتعدّي على الأطفال، خاصة داخل التجمعات، كما ومساعدة بقية الفئات المهجّرة خارج التجمعات.

أمّا **المرحلة الثالثة** من أعمال الإغاثة، أي ما بعد ١٩٩٠ فهي مرحلة الخروج من الحرب ومحاولة العودة الى الحياة الطبيعية.

كما جاء في مقالة "**العامل الإجتماعي والحالات الطارئة**" (هزّاز، مي ،١٩٨٥)، والتي عرضت فيه المراحل الثلاث التي تميّز "**التدخل الإجتماعي في الحالات الطارئة الناتجة عن الكوارث**": المرحلة الأولى التي تلي مباشرة الكارثة، تتمثّل بحالة الهلع والذّعر والإرتباك وتتمحور حول أعمال الإجلاء والإيواء، والمرحلة الثانية من أعمال الإغاثة تتضمّن تنظيم الحياة الجماعية على المدى القصير، والمرحلة الثالثة التي تتمثّل بإعادة تنظيم طويلة الأمد، وبإعادة الإعمار والترميم المادي والمعنوي والنفسي للعائلات والجماعات المتضرّرة ومساعدتهم على استعادة حياتهم الطبيعية.

ولمزيد من المعلومات عن هذه الفترة، نعرض فيما يلي الدراسة التي قام بها **"مركز الدراسات التطبيقية في العلوم الإجتماعية** Institut d'Etudes en Sciences Sociales Appliquées (IESSA) " في العام ١٩٨٧ في إطار برنامج تعاون بين جامعة القدّيس يوسف - بيروت (كلية العلوم الإنسانية والمدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي) وجامعة لاڤال- كيبيك- كندا (كلية العلوم الإجتماعية والآداب ومدرسة الخدمة الإجتماعية في جامعة لاڤال) التي تناولت موضوع النزوح الداخلي في لبنان نتيجة الحرب،" Les populations déplacées par la guerre au "Liban. واعتبرت هذه الدراسة النازح، على أنّه شخص إضطرته الأوضاع الأمنية إلى مغادرة مكان إقامته بعد تاريخ ١٩٧٥/١/١ والذي لم يكن قد عاد إليها في العام الذي أُجريت فيه الدراسة.

دامت هذه الدراسة أربع سنوات بين ١٩٨٧ و١٩٩١ وتناولت ما يقارب ٦٢٠٠٠ عائلة أي ما يعادل ثلاثة ملايين شخص من سكّان لبنان. وكان لهذه الدراسة أكثر من هدف، فإلى جانب معرفة حجم مشكلة النازحين وتشخيص واقعهم، كان لابدّ من معرفة واقع المساعدات التي قامت بها مختلف المؤسسات والمنظّمات الحكومية والأهلية والعالمية تجاه هذه الفئات، ورسم خطط عمل واضحة لمعالجة أوضاعهم.

وقُدّر عدد النازحين يومها بـ ٥٪، ١٨ (١/٥ من اللبنانيين)، أقلّ بقليل من نصفهم تعرّضوا لتهجير قسري نتيجة أعمال عنف، والباقي نزح من مناطق معرّضة للخطر أو لكونهم غير مرغوبٍ فيهم، وكانوا في غالبيّتهم ينتمون إلى فئات إجتماعية متوسطة وما دون. وأعرب مجمل النازحين في هذه الدراسة عن خوفهم من المستقبل، وحاجتهم إلى مصدر رزق، وإلى سكن دائم يؤمّن لهم الإستقرار، وإلى ضرورة تأمين الدراسة لأولادهم، وإلى مساعدتهم في مواجهة مشاكلهم الصحية.

يُضاف إلى ذلك، ما كان يعيشه الكثير من جرّاء فقدان عزيز أو قريب أو نتيجة إبعادهم قسراً عن قراهم ومناطقهم ومحيطهم الإجتماعي، وصعوبة مدّ يد العون والإستعطاف الذي عانى منه بشكلٍ خاص كبار السنّ من المهجّرين.

تبيّن من الدراسة المذكورة "أن العائلة الممتدّة" شكّلت السند الأول في الحالات الحرجة، كما وشكّل الأصدقاء والأشخاص المتحدرين من المناطق التي هُجِّروا منها، والذين تجمعوا ضمن جماعات بعد تهجيرهم في مناطق جغرافية معيّنة، سنداً آخر.

ومن الجدير بالذكر، أن المشاكل الإجتماعية والإقتصادية طالت جميع الفئات الإجتماعية في لبنان في تلك الفترة (حتّى الذين لم يتمّ تهجيرهم)، وعلى الأخصّ الطبقة الفقيرة والمتوسطة، وأصبح للجميع الهموم نفسها.
ولقد ذكر النازحون أكثر من ٥٠ مؤسّسة إجتماعية كانت على الساحة خلال هذه الفترة. ولم تتعدّى المنظّمات الدوليّة أكثر من ١٥٪ حينها. وأظهرت هذه الدراسة نظرة المسؤولين عن المؤسّسات الإجتماعية بالنسبة للحاجات والمشكلات المُعاشة في هذه المرحلة.

وكان لهذه الدراسة الوقع الإيجابي وشكّلت نقطة إنطلاق للكثير من المشاريع في القطاعين العام والخاص.

العمل الاجتماعي خلال هذه الفترة

كانت الفترة ما بين ١٩٧٥ و ١٩٩٠ غنيّة بالمبادرات الفردية والجماعية، مما إضطر الكثير من المؤسّسات الإجتماعية ومن خلالها العمّال الإجتماعيين فيها، إلى التعايش مع الواقع. في ما يلي بعض من المبادرات التي توصّلنا إليها من خلال المقابلات التي أجريناها مع عدد من العمّال الإجتماعيين الذين لم يغادروا ساحات العمل الإجتماعي خلال سنوات الحرب، رغم الصعوبات والتحديات، وهم بمثابة نموذج للكثير من الأعمال التي قام بها الكثيرون/ غيرهم، والتي كانت، في مجملها، **"البلسم"** الذي ساهم في التخفيف من وطأة الحرب وويلاتها.

العلامة الفارقة كانت في أن جميع الذين أجرينا معهم المقابلات، بمختلف إنتماءاتهم، هبّوا للقيام بدورهم في المساعدة من دون قيد أو شرط، وتحدّوا الحواجز النفسية والمناطقية والطائفية. وكان هناك الكثير من التنسيق والتعاون فيما بينهم، هذا ما صرّح به أغلب من أُجريت معهم المقابلات. وأهمّ التحديات التي طرحها أو واجهها العمّال الإجتماعيون في هذه الفترة كانت تتمحور حول المشاكل الحياتية وأعمال الإغاثة لفترات زمنية، كان الكثير يعتقد أنها مرحلية، لكنها طالت وطالت معها المعاناة.

أرخى واقع الحرب الطائفية والحزبية بثقله على البعض من المبادرات والمشاريع الإجتماعية، التي لم تؤتي بالنتائج المرجوة منها، وكان من وراء تأسيسها وتمويلها في البعض من الأحيان خلّفيات سياسية وحزبية لم تغب عن بعضها نوايا الهيمنة والسيطرة على الفئات الأضعف في المجتمع خلال الحرب، كما قال بعض العمّال الإجتماعيين.

ورغم الأوضاع الأمنية، كان هناك الكثير من اللقاءات والتواصل بين العمّال الإجتماعيين بهدف التعاون والتشارك وتصويب العمل. ولا ننكر أن بعض العمّال الاجتماعيين إنزلق في بعض الأحيان، ولو لفترات وجيزة، في مطبّات التقوقع والتعصّب ورفض الآخر وتحميله مسؤولية العنف، إما لأسباب مباشرة عانى منها شخصياً، كفقدان عزيز أو قريب أو التعرّض لأعمال عنف مباشرة، وإما لأسباب سياسية وإنتماءات حزبية أو طائفية كانت طاغية في بعض الأحيان، ولكنها كانت تتبدّد سريعاً لدى تواجد هؤلاء أمام المآسي والآلام التي لم تفرّق بين إنسان وآخر، بغضّ النظر عن إنتمآءاته وعقائده.

وكما ذكرنا سابقًا، كان هناك الكثير من المبادرات الإيجابية التي واجهت هذه المطبّات وحاولت السيطرة على الإنتماءات الحزبية والطائفية وعملت في الخطوط الأمامية بصمتٍ

وتفانٍ، وإلتزمت بالمبادئ والأخلاقيات المهنية، لكن أغلبيتها ظلّ **"وراء الستار"**، ولا بدّ من إبرازها لاحقاً، احتراماً لتضحيات كل من كان وراءها.

ونتوّقف هنا عند رسالة أرسلها المطران الراحل غريغوار حداد (١٩٨٨)، مؤسّس الحركة الإجتماعية في لبنان، ومُلهِم الكثير من المشاريع الإجتماعية ذات الطابع الإنمائي والذي كان له العديد من المبادرات والمشاريع في مجال الخدمة الإجتماعية خلال الحرب الأهلية وما بعدها. وكان لرسالته، التي خطّها بيده، وقام بإرسالها إلى الكثير من العمّال الإجتماعيين في خضمّ الحرب، الوقع الكبير والمؤثّر في تصويب العمل الإجتماعي.

إن المقابلات التي أجريناها مع ما يقارب ٣٥ عاملاً اجتماعياً والتجارب الميدانية التي شاركونا فيها، مشكورين، تسمح لنا بإستخلاص بعض الأفكار والآراء والمعطيات. فبالنسبة للفترة ما بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ تركّزت جهود معظم المؤسّسات الإجتماعية على برامج الإغاثة في مراحلها الثلاث، لتأمين الحاجات الأساسية للكثير من العائلات التي أجبِرت على التهجير أو النزوح من جهة، ومن جهة ثانية، لمساعدة العائلات والأفراد التي لحقتها ويلات الحروب والكوارث التي تتالت على لبنان والتي أفرزت مشاكل إجتماعية وإقتصادية متعدّدة، منها ما كان موجوداً وزادت الحروب من حدّته ووقعه على المجتمع، ومنها ما نتج مباشرة عن الحروب والحوادث الأمنية والأوضاع التي خلّفتها والتي طالت مختلف النواحي الحياتية والمعيشية، وتمثّلت بشكل خاص بالأعداد الكبيرة للأرامل والأيتام، وفقدان المعيل والسكن والممتلكات ومصادر الرزق، والإعاقات الدائمة، إلى جانب الكثير من المشاكل النفسية، من خوف ويأس وقلق وشعور بعدم الإستقرار واللجوء إلى المسكّنات وغالبا إلى الكحول أو المخدّرات.

بالإضافة إلى ذلك نذكر المشاكل الناتجة عن توقّف الدراسة ومشاكل التسرّب المدرسي والضياع الذي خلّفه لدى الأولاد والأهل على السواء، والفراغ الذي سببته الأحداث لدى الفئات الشبابية وتعرّضها المباشر لجميع أنواع الإنحرافات وإضطرار الكثير من القاصرين للعمل المبكر، إلى جانب تعطيل أو تقصير أو حتى غياب للإدارات الرسمية والمؤسّسات الحكومية. وبالطبع، تبقى وطأة هذه المشاكل أشدّ وقعاً على العائلات ذوي الدخل المحدود والفئات الإجتماعية الفقيرة وما دون المتوسطة وحتى المتوسطة.

تجاه هذا الواقع كان على العاملين في مجال الخدمة الإجتماعية التموضع والعمل إنطلاقا من المهنية التي عليهم أن يلتزموا بها. من أهم منهجيّات العمل الإجتماعي في هذه الفترة، كان تفعيل شبكات الدعم الطبيعية (العائلة الممتدّة والجيران والأصحاب، وهي شبكة موجودة بقوّة في المجتمع اللبناني وكان لها دور رئيسي في تخطّي الكثير من الصعوبات)، كما وشبكات الدعم المؤسّساتية (المؤسّسات، الجمعيات ....)، والمجتمعية (اللّجان المحلية التي تشكّلت في الأحياء والتجمّعات).

ولا بدّ لنا أن نذكر هنا بعض التساؤلات التي كانت تُطرح على جميع مَن واكبوا العائلات المهجّرة، منها:

- **"هل علينا مساعدة النازحين على التأقلم في المحيط الذي لجأوا إليه، مع علمنا المسبق بالمفاعيل النفسية التي قد تكون سلبية لهكذا قرار، بغض النظر عن المفاعيل الإقتصادية والإجتماعية؟"**
- أو **"هل علينا مساعدتهم على المكوث بشكل مؤقّت بانتظار العودة، وإن كانت مرتبطة بأمور كثيرة قد تكون طويلة الأمد، والعمل على تحسين الوضع المؤقّت، مع كل ما يرتبط به هكذا وضع من شعور بالقلق وعدم الإستقرار؟"**

وأجمع أغلب من أجرينا معهم المقابلات على أهميّة أعمال الإغاثة التي رافقت هذه الفترة، إذ كما قالت إحدى المساعدات الإجتماعيات أنه: **"كان عليهم تأمين الحاجات الأساسية بشكل سريع ومباشر، لكنه عمل يجب أن يبقى ظرفياً وإستثنائياً، وإن تكرّر في مراحل متعدّدة ومع فئات مجتمعية مختلفة تبعاً للأحداث الأمنية ودورات العنف التي توالت..."**.

لا شكّ أنّ المؤسّسات الإجتماعية إكتسبت في هذه الفترة خبرة متينة في مجال التدخّل الإجتماعي في الحالات الطارئة وفي حالات الكوارث والصدمات، إمّا من خلال العمل الميداني المباشر، وإمّا من خلال الكثير من الدورات التدريبية التي كانت تواكب هذا العمل من جهات متعدّدة.

لكن، بعد فترة وجيزة شعر الكثيرون من هذه المؤسّسات، كما والعاملون فيها برغبة في الخروج من هذا النهج من العمل كما قالت إحدى المساعدات الإجتماعيات: **"لا بدّ من استشراف برامج تنموية أكثر فاعلية تُخرج العمل الإجتماعي من دوّامة عمل الإغاثة الظرفي وتساهم برسم تصَوّر "مشروع حياة" للأفراد والعائلات، أقلّه على المديين القصير والمتوسط إذا لم نقل على المدى الطويل ... كما و برامج إجتماعية وتربوية وتنموية تَطمح إلى تمكين الأشخاص لمواجهة المستقبل... وتفعيل موارد البيئة الإجتماعية لكي تتلاءم مع الحاجات..."**.

وبالنسبة للكثيرين منهم كما جاء في احدى المقابلات: **"يتسبب العمل الإغاثي بخلق مواقف التبعيّة والإستزلام إذا لم يتمّ ربطه بعمل على المديين المتوسط والطويل وبرؤية تنموية تهدف الى إعادة قدرة الأفراد والعائلات على تولّي زمام أمورهم وإدارة شؤونهم..."**.

وترى الغالبيّة: **" أنه من المهّم جداً تضافر الجهود من أجل تأمين المستلزمات الحياتية بشكل يحترم حقوق مَن نعمل معهم ونتطلّع إلى عودة الحياة إلى مؤسّسات الدولة وأجهزتها..."**.

وبعضهم ذكر أنه: **"من غير هذا الترابط، يبقى العمل الإجتماعي غير فعّال، وإن أجاب على بعض الحاجات الآنية، فتأتي نتائجه أدنى بكثير من الأهداف التي وُضِعت من أجله والتكاليف التي خُصِّصت له..."**.

والجميع أجمع على ضرورة: "وضع رؤية متكاملة وشاملة، تأخذ بعين الإعتبار جميع المعطيات بحيث يتم إستباق الأمور ومعالجة مسبّباتها ولا يغرق في لملمة نتائجها..." و "ضرورة عودة الدولة ومؤسّساتها...".

والكلّ أكّد على: **"ضرورة وجود سياسات إجتماعية واضحة مبنيّة على مبادئ العدالة الإجتماعية وحقوق الأفراد والجماعات والمصلحة العامة..."**.

وركّز الكثيرون ممّن أُجريت اللقاءات معهم على:

- "قوانين تحمي الفئات المهمّشة..."
- "إجراءات عملانية تؤمّن ترجمة هذه الحقوق إلى الواقع..."
- "آليات عمل واضحة وسهلة باستطاعة كلّ فرد اللّجوء إليها والإفادة منها بالإمكانيّات المتاحة له..."
- "ويكون للمجتمع المدني دور المحرّك والمراقب والشريك وتكون فيه المصلحة المشتركة غالبة...".

وكان هناك شبه إجماع على أهمية التحلّي بالأسس والمبادئ المهنية ومنها: "أهمية احترام خصوصية الأفراد والجماعات وحقّهم في تقرير مصيرهم وتعزيز قدراتهم بهدف تحديد مشاكلهم وإتّخاذ القرارات المناسبة ومساعدتهم من أجل وضعها موضع التّنفيذ وأهمية المشاركة بين مقدّم الخدمة والمستفيد...".

وفي مطلق الأحوال: "إحترام كامل لكرامة الإنسان، بحيث لا يقتصر النظر إليه من منظار المشكلة التي يعاني منها بل من منظار الإمكانات المتواجدة لديه أو التي في الإمكان بلورتها وإبرازها وتقويتها...".

ولعلّ أوضح خلاصة في مجال العمل الإجتماعي في الحالات الطارئة، هو ما عبّرت عنه إحدى المساعِدات الإجتماعيات في نهاية مرحلة عمل ميداني في إحدى الأحياء المتضرّرة بأعمال القصف والعنف خلال الحرب جاء فيها:

- "ضرورة إستقلالية العمل الإجتماعي عن العمل الحزبي والسياسي والحربي، وتحديد متحرّك للحاجات وتوزيع المهام والمسؤوليّات بشكل مسبق، وإحترام الخصوصية وعدم وضع الأشخاص في ظروف الإستعطاف وإحترام حقِّهم في تقرير مصيرهم وإشراكهم في عمليّة الإغاثة وتفعيل كل الخبرات والإمكانات المتواجدة في المحيط المباشر.

- ومن المهمّ معالجة النزاعات التي قد تنشأ بين المستفيدين كما وبين المتطوّعين، والإصغاء الإيجابي لهذه النزاعات التي تحتدّ كلّما احتدّ العنف والدمار، والبحث الدائم عن المصلحة المشتركة، وتقبّل الآخر".

خلال هذه الفترة، جاهد الكثيرون، من أجل الدفاع عن قضايا إجتماعية والنضال في سبيلها، وبناء مؤسسات مجتمعية ودعم المؤسسات الحكومية رغم تعذّرها والتي وحدها تؤمّن استمرارية العمل وشموليته.

ولا بدّ لنا هنا من التوّقف عند ظاهرة تعب المنظمات والمؤسّسات والجمعيات الإجتماعية في فترة الحرب من أعمال الإغاثة، وتوقّف العدد الكبير منها عن العمل، مما تسبّب بتوقف الكثير من العمّال الإجتماعيّين، ومَن كان يُسمّى حينها بـ **"المساعدات الإجتماعيات"**، عن عملهم وخروجهم من معترك **"العمل الإجتماعي"**من دون تمكّنهم من نقل خبراتهم. فمنهم مَن غادر البلاد ومنهم مَن تقاعد ومنهم مَن فارق الحياة. وغابت معهم سنوات من الخبرة المتراكمة ومن العمل الدؤوب الذي حاولوا من خلاله جاهدين الدفاع عن قضايا إنسانية والنضال من أجل إخراج العمل الإجتماعي من حيّزه الخيري إلى حيّزه الإجتماعي المؤسساتي المبني على الحقوق الإجتماعية والمبادئ الإنسانية.

تسبب ذلك بفجوة كبيرة في تاريخ مهنة الخدمة الإجتماعية، ربّما لم تشعر بها الأجيال الجديدة لكنها تركت فراغاً كبيراً عند الكثير مِمَن عايش فترة ما قبل الحرب وبدايات العمل الإجتماعي. ومن المهم جداً توثيق هذه المرحلة من خلال الأشخاص الذين عايشوها.

الجزء الثاني (بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠)

الواقع اللبناني خلال هذه الفترة

كان لبنان، قبل إنفجار مرفأ بيروت، يمرّ بأزمة إقتصادية حادة لا مثيل لها، إذ تتالت الأزمات السياسية والجيو-إقليمية والإجتماعية وساءت الأوضاع المعيشية وإنخفضت القدرة الشرائية لدى المواطنين الى أدنى مستوياتها.

في ١٠ أيلول ٢٠٢١، شكّلت القيادة اللبنانية حكومة جديدة بعد ١٣ شهرًاً من الشغور في السلطة التنفيذية والإستجابات السياسية غير الملائمة في مواجهة الأزمات المعقدّة، وهي أكبر أزمة إقتصادية ومالية في البلاد في وقت السلم. تعتبر الأزمة الإقتصادية والمالية في لبنان من الأزمات الأكثر حدّة في العالم منذ منتصف القرن التاسع عشر.

واستمّر الإضطراب النقدي والمالي في دفع ظروف الأزمة وتدهور سعر الصرف بشكل سريع وانخفض سعر الليرة اللبنانية أمام الدولار الأمريكي بنسبة هائلة، وبلغ معدّل التضّخم أرقاماً قياسية.
وكانت مختلف المناطق اللبنانية شهدت إحتجاجات شعبية خلال العام ٢٠١٩، تطالب باستعادة الأموال المنهوبة، ورحيل الطبقة الحاكمة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الأعباء التي خلّفتها جائحة كورونا جعلت العديد من المستشفيات في لبنان تعاني نقصاً في الإمدادات الطبية، وأصبحت شبه عاجزة عن إستقبال المرضى، إضافة إلى عجز العديد من المؤسّسات عن دفع أجور الموظفين والإستغناء عن قسم كبير منهم بسبب ما تشهده البلاد من إنهيار إقتصادي شامل.

في ظل كل هذه الأزمات التي أثقلت كاهل اللبنانيين واستنزفت كل طاقاتهم جاء إنفجار بيروت كالضربة القاضية. ففي عصر يوم الثلاثاء ٤ آب ٢٠٢٠، دوّى إنفجار ضخم في مرفأ بيروت أُطلِق عليه مصطلح **"بيروتشيما"** تشبيهاً بما جرى لمدينة هيروشيما جراء الإنفجار النووي، مما أدّى إلى أضرار جسيمة في المرفأ وتهشيم الواجهات الزجاجية للمباني والمنازل في كافة أحياء العاصمة اللبنانية بيروت.
وامتدت الأضرار إلى منازل وأبنية تقع على بعد ١٠ كيلومترات من موقع الإنفجار. وبحسب المحللين، فإن هذا الإنفجار يُعدّ الأعظم على مر تاريخ لبنان، ولم يعهده اللبنانيون حتى في خضم الحرب الأهلية اللبنانية وعمليات القصف الجوي الإسرائيلية العنيفة التي استهدفت بيروت.

من جانب آخر، دُمّرت تسع مستشفيات خاصة، ٣ بشكل كامل و٦ بشكل جزئي ومستشفى حكومي، كانت تؤدي الخدمات لنحو مليون شخص. ولم تتمكن المستشفيات

القريبة من إستقبال العشرات من الجرحى الذين نُقلوا إليها بسبب الأضرار الجسيمة التي لَحقت بها. وإضطر البعض منها، إلى علاج المصابين في الشارع، بسبب الأضرار البالغة التي لحقت بالمنشآت الطبية. ويضاف إلى ذلك، أضرار لحقت بنحو ٢٣ مركزاً صحياً إجتماعياً، و١٢٠ مدرسة، و١٥٠٠٠ مؤسسة تجارية، تاركة الآلاف بلا عمل وأضرارا كبيرة في شبكات النقل والتوزيع في المقر العام لمؤسسة كهرباء لبنان وفي شبكات المياه.

إستجاب المجتمع المدني والأهلي بشكل فوري لهذه الكارثة، وتجلّى ذلك في مئات المبادرات الفردية والجماعية ومن خلال آلاف المتطوعين من جنسيات مختلفة ومن كل مناطق لبنان الذين توجهوا على الفور إلى المناطق المنكوبة لتقديم المساعدة وإنتشال الحطام وتوفير المأكل والمشرب في ظل تقاعس مؤسّسات الدولة.

المشاكل والصعوبات والحاجات الأساسية خلال هذه الفترة

شهد لبنان إنهياراً كبيراً في الخدمات الأساسية، مدفوعاً بنضوب إحتياطيات النقد الأجنبي وإرتفاع تكلفة دعم إستيراد العملات الأجنبية على المواد الغذائية والوقود والأدوية. وتزايد الفقر مع إرتفاع نسبة السكان اللبنانيين الذين يعيشون تحت خط الفقر الدولي البالغ ٥٠،٥ دولاراً أمريكياً، بنسبة ١٣ نقطة مئوية بحلول نهاية عام ٢٠٢٠.

أما نسبة الأسر التي تواجه تحدّيات في الحصول على الغذاء والرعاية الصحية والخدمات الأساسية الأخرى، فهي آخذة في الارتفاع. فالآثار التضخمية هي عوامل إرتدادية، تؤثر بشكل غير متناسب على الفقراء والطبقة الوسطى.

رغم أن لبنان يُعتبر من البلدان التي اختبرت سيناريوهات الكوارث المتتالية على مدى سنين عديدة، إلا أنه لا يزال يفتقر إلى مخططات وسياسات عامة لإدارة الكوارث. وتمحورت نقاط الضعف، حسب العمّال الإجتماعيين على النحو التالي:

- غياب استراتيجية وطنية لإدارة الكوارث والنقص في إتّخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة للتّمكن من مواجهتها
- عدم وجود التنسيق والتعاون بين الجمعيات الأهلية ومؤسّسات الدولة
- صعوبة التدخّل السريع والطارئ والإستجابة لكل النداءات مقابل النقص في الموارد الداعمة
- عدم القدرة على التعمّق في تقييم واقع الضحايا حسب سلّم الأولويات للتأكد من عدم تقديم نفس الخدمة للأشخاص عينهم، او بالعكس عدم الوصول الى فئات أكثر هشاشة
- عدم وجود دليل ميداني لرصد المؤسّسات الإجتماعية والصحية وعدم تزويد الجمعيات بخرائط لتوجيههم في عملية الرصد والتدخل
- تكرار عمليات الإستبيان والرصد عبر الإستمارات المتكرّرة التي أرهقت الناس وأفقدتهم ثقتهم بالجهات المساعدة

- عدم القدرة على المحافظة على السريّة المهنية لتوافد عدد كبير من المتضررين وعدم وجود أماكن مغلقة كافية لإستقبالهم
- عدم إحترام قواعد التباعد الإجتماعي الذي فرضته جائحة كورونا والإكتظاظ في أماكن توفير الخدمات العينية وتعريض العاملين والمستفيدين لمخاطر العدوى
- عدم القدرة على تقديم الدعم ولغة التواصل غير الشفهي المشجّع وذلك بسبب وجود تدابير الكمامات الواقية.

العمل الإجتماعي خلال هذه الفترة

تجنّدت المؤسّسات الإجتماعية والإنسانية المتواجدة في ضواحي بيروت للردّ على هذه الكارثة وشكّل معظمها ائتلافات لتنسيق الجهود وتوحيدها، وساهمت مجموعات التواصل الإجتماعي، لا سيما **الـ "واتس اب"** في نشر الإحتياجات والرد عليها.

وجاء تدخل هذه الجمعيات على ثلاثة مراحل:

- **المرحلة الاولى** (من اليوم الأول حتى اليوم الخامس)، حيث عمدت معظم الجمعيات إلى التدخّل السريع والطارئ على الأصعدة الإنسانية التالية: الإستجابة للحالات الصحية الطارئة، تأمين الأمن الغذائي، تأمين المأوى البديل، تقديم الدعم النفسي- الإجتماعي المستعجل، الإتصال بكافة المستفيدين والإطمئنان على أحوالهم وتوجيههم الى مصادر الخدمات المتوافرة وتزويدهم بالمعلومات الضرورية، كما ورصد الإحتياجات الأولية والطارئة والعمل على تلبيتها.

- **المرحلة الثانية** (من اليوم الخامس حتى الأسبوع الثاني)، والتي بدأت بعدما استوعب الناس هول الكارثة وبدأت الجمعيات بعملية التنسيق لصبّ الجهود بشكل أكثر فعاليّة، فظهرت اللجان وأقيمت الزيارات الميدانية المكثّفة لتقييم الإحتياجات ورصد المتضرّرين الأكثر هشاشة. ووصف العمّال الاجتماعيون هذه المرحلة بالصادمة، إذ أن رؤية الواقع المؤلم عن كثب لا يشبه بأي شيء العمل من خلال مراكز الجمعيات، فكان تواجدهم في الأحياء بالغ الأهمية، إذ استطاعوا تقييم نواح حياتية عدة وتوفير الدعم لمواكبة المنكوبين. وغالباً ما كانت تقام هذه الجولات الميدانية من قبل فريق متعدّد الإختصاصات، بالإضافة الى الشباب المتطوّع، حيث يقوم كل بحسب إختصاصه برصد الأضرار وتقييمها وإدراج لائحة بالأولويات.

- **المرحلة الثالثة** (والتي امتدت من الأسبوع الثاني إلى الشهر الثاني وما بعد)، حيث ظهرت إحتياجات جديدة بعد عودة الذين إضطرّوا إلى إخلاء بيوتهم، وظهور الإعاقات وحالات الإنهيار والبطالة وسوء التغذية والأمراض غير المعالجة، والتي تطلبت تعزيز الأداء التكيّفي للناجين ومتابعة مرحلة ما بعد الصدمة.

يقيّم العمّال الإجتماعيون الذين تدخّلوا خلال هذه الفترة، إستجابة الدولة والمؤسّسات الحكومية بغير الفعّالة، ويصفونها بالبطيئة، حيث يسودها عدم التنسيق وعدم القدرة على الإشراف لتنظيم دور المجتمع المدني وضبط المبادرات والمجموعات المتطوعة.

وقالت أحداهن في هذا الصدد: **"أنا من جيل المساعدات الإجتماعيات اللواتي اعتدنَ على التدخل في حالات الطوارئ، لكن ما يبدو مستغرباً لي أنه حتى اليوم لم نتعلم من دروس الماضي خصوصاً دولتنا التي لم تعمل على تفعيل هيئة إدارة الكوارث بحيث تصبح مرجعنا الأساسي، لكي نعمل جميعاً تحت لوائها. نحن لسنا الدولة لكننا نلعب دورها للأسف دون حسيب أو رقيب."**

يصف العمّال الإجتماعيون تدخّلهم بالمرحلة الأولى، بالعفوي والطارئ كما جاء على لسان أحدهن:**"لا وقت للتفكير والتحليل، كان البعض منّا يبقى في المركز ويقوم بتلبية الإحتياجات الأساسية التي كانت تغدق علينا من كل مكان والبعض الآخر يتوجّه الى الأحياء لإستفقاد الناس في بيوتهم، وأحياناً كثيرا لانتشالهم من الصدمة ومساعدتهم على لمّ الركام واستيعاب ما حصل".**

ويعتبر العمّال الإجتماعيون أن هول الكارثة كان يتطّلب منهم التمتّع بمهارات عدّة وغالبا ما كانوا يتولّون دور القيادة ضمن الفرق المتعدّدة الإختصاصات:" كان تدخلنا يتطلّب منا الكثير من المهارات كالسرعة في التفكير والتخطيط والتنظيم والقدرة على إدارة مجموعات وتوجيهها، ومعرفة جيدة بالمحيط والموارد الموجودة، والحكمة في أخذ القرارات الصائبة وقدرة السيطرة على المشاعر المشحونة لاحتضان مشاعر المنكوبين."

معظم العمّال الإجتماعيون الذين تدخّلوا خلال هذه الكارثة هم من الذين تضرّروا، بشكل مباشر أو غير مباشر، من الإنفجار ولم يكن من السهل عليهم إستيعاب صدمتهم والتأقلم معها قبل التوجه إلى المنكوبين وذوي الضحايا. هذا الواقع خلق لديهم ما يعرف **"بتعب التعاطف"**. وكان من الصعب عليهم الفصل بين الشعور مع الآخر والشعور مثل الآخر. وتحدّثوا جميعاً عن أحاسيس سلبية كالعجز والألم الشديد والإحباط واليأس والغضب والقلق والتوتّر الشديد الذي إنعكس أيضا على صحتهم الجسدية، فظهرت لديهم العوارض الجسدية كالأرق والأوجاع المتفرقة والصعوبة في التركيز. كما تكلّم معظمهم عن **"الإرهاق المهني"**، اذ لم يكن لديهم من دوام او ساعات محدّدة للعمل. فهم في حالة طوارئ وهذا الأمر يتطلب منهم القيام بعمل متواصل وتأدية مهمّات متعدّدة وبوتيرة متسارعة. وغالبا ما كانوا يفتقدون للوقت لتقييم نوعية تدخلهم ويضطرون للإجتماع في ساعات متأخرة من الليل لتنسيق وتصويب الأعمال المنجزة.

ورأى كافة العمّال الإجتماعيون أن هناك ضرورة قصوى لمواكبتهم من قبل فريق متخصص بإدارة الكوارث وتقديم الدعم والمشورة الفردية والجماعية لهم: **"لطالما شعرنا باليأس والإحباط وكنّا نشعر بأهمية تفريغ داخلنا لأن ما كنا نراه ونسمعه من مأساة**

يومية يتخطّى قدرة البشر على استيعابه." البعض منهم تكلّم عن الشعور بالسلام الداخلي رغم كل شيء.

الإستنتاجات والإقتراحات

إنطلاقا من كل ما سبق، نرى أن العمل الإجتماعي في مواجهة حالات الكوارث والأزمات، يتطلّب الكثير من الجهود والمثابرة والحضور الفاعل من قبل العمّال الاجتماعيين. فبالرغم من تعدّد مسببات الكوارث والأزمات وإختلاف أشكالها والّتفاوت في حجمها ووقعها ونتائجها، تبقى مفاعيلها على الأفراد والعائلات والجماعات متشابهة: عنف، موت، دمار، تهجير، فقدان الأعزاء والأصحاب، خسارة الممتلكات، إعاقات، أزمات نفسية ومآسٍ قد لا تلتئم لسنوات.

والعمل الإجتماعي ما بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ وما بعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠، والمساعدات التي قدمها إلى كل من تعرّض للكوارث والحالات الطارئة وعاش الأزمات التي أنتجتها، قد يكون متشابهاً من حيث التّعاطف مع المنكوبين ومساعدتهم، وتقديم الخدمات الملائمة لهم بكافة الوسائل المتاحة وبالسرعة المطلوبة، ودعمهم في الحصول على ما تبقّى من حقوقهم، والسعي إلى التّخفيف من مآسيهم.

لكنّ ما تغير هو في الوسائل التي لُجأ إليها والإمكانيات التي كانت متاحة لديه. فخلال الفترة الممتدّة من عام ١٩٧٥ وحتى العام ١٩٩٠، مع ما تخللها من أحداث، كانت أعمال الإغاثة ترتكز بصورة أساسية على الدعم العائلي وعلى الجمعيات والمنظمات والهيئات الأهلية والمدنية المحلية، وكانت المؤسّسات الحكومية متواجدة وإن بإمكانيات محدودة. بينما نلحظ، أنه بعد إنفجار ٤ آب، أصبح دور الجمعيات المحلية ثانوياً رغم المبادرات الكثيرة والفاعلة من هيئات المجتمع المدني والتجمعات الأهلية والمبادرات العفوية، والمساعدة غير المحدودة للعائلات والأصحاب والجيران، والتّضامن الواضح من أشخاص طالتهم أيضاً الكارثة. ونلحظ في هذا الصدد، غياباً شبه كامل للمؤسّسات الحكومية وإستقالة واضحة للسلطات العامة، وقد يكون تواجد الجيش اللبناني، في مجال الإغاثة، هو التواجد الوحيد للدولة التي بقيت مهمشة.

كما نرى من جهة ثانية، بشكل لافت، ظاهرة التواجد الكثيف لوكالات الأمم المتحدة والمنظّمات الدولية والجمعيات الأجنبية غير الحكومية، حيث أخذت هذه المنظّمات الريادة في الكثير من أعمال الإغاثة وإعادة ترميم ما دُمّر، وتمّ تحييد الحكومة اللبنانية لأسباب متعدّدة ومتشعبة لن نتطرّق لها في بحثنا هذا. وبقي الفاعلون المحليّون والجمعيات الأهلية والمدنية اللبنانية والتي تُعتبر الأقرب إلى الواقع اللبناني، ثانويينً.

ولعلّ ما ورد في مقالة السيدتان منى فوّاز، ومنى حرب (٢٠٢٠)، أن لبنان: **"لا يمكن أن يصبح جمهورية المنظمات غير الحكومية" خير دليل على ذلك. ولعلّ أيضاً ما ورد في هذه المقالة من أهمية "تجميع كل القوى التي تهدف إلى إنقاذ أي جزء، وإن كان صغيراً، في المجال العام...للشروع في إعادة بناء الدولة التي لا بديل عنها"**، يجب أن يلقى الصدى لدينا.

فالمساعدات المادية، مهما كان شكلها وقيمتها، إن لم تقترن بالسعي لتغييرات بنيوية حقيقية، تسمح لطالب المساعدة بالتوجّه نحو الإستغناء عنها والوصول الى الإستقلالية؛ وإذا لم يكن من ضمن المساعدات المادية بُعد سياسي ومجتمعي، لدعم الأشخاص بهدف المطالبة بحقوقهم، التي على كل دولة تأمينها لمواطنيها، فهذه المساعدات المادية تُعتبر منقوصة، لا بل مسيئة للفرد والجماعة وللمجتمع كما وللعمل الإجتماعي.

وفي النهاية، لا بدّ من بعض الإقتراحات التي نراها مهمة لتكملة العمل البحثي الذي بدأنا به، وأهمها: العودة إلى تاريخ الخدمة الإجتماعية في لبنان والتي بدأت فعلياً عام ١٩٤٨، وإستنباط خبرات الأقدمين التي محتها حرب ١٩٧٥ – ١٩٩٠، كما والبحث في تجارب العمل الإجتماعي منذ العام ١٩٩٠ وحتى إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠، ليس لأرشفتها فقط، بل للاستفادة من الخبرات التي تحملها، وربط ما يمكن منها بالعمل الإجتماعي وبالمجال الأكاديمي كما ولإستشراف مستقبل نأمله واعداً.

إن العامل الإجتماعي، مهما كانت التسميات التي تُعطى له وتُطلق عليه، هو كلّ شخص يحاول مساعدة مَن خذلتهم الحياة واستضعفتهم ويساهم في الدفاع عنهم.
قد يشعر بالغضب والتمرّد، وقد يشعر بالإحباط والتعب، ... لكن إلتزامه المهني، كما إلتزام جميع المهن التي تعنى بالإنسان، هو ما يميّزه.

أسئلة كثيرة تُطرح عليه كمهنّي:

- كيف يواجه الواقع المرير، من دون أن ينفيه أو أن يقف محايداً تجاهه؟
- كيف يُغلِّب التواصل وفهم الآخر والإصغاء له على شعوره بالرفض والإنكار؟
- كيف ينظر إلى المستقبل بظلّ واقع ظرفّي وآني متعثِّر ويسعى لبناء مجتمع تسوده المصلحة المشتركة والحق العام وإحترام الحقوق وسياسة إجتماعية محقّة؟
- كيف يلتزم بالعمل السياسي ولا ينزلق بالإصطفافات العقائدية والحزبية والتقوقعات الطائفية؟
- كيف يرفض مفهوم "**جمهورية المنظمات غير الحكومية**" ليساهم بعودة "**دولة الحقوق والمواطنة**"؟

القسم الثاني
قراءة سريعة لبعض الخبرات الميدانية لعمّال/عاملات إجتماعيين/ات بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠

مقدمة

يشكّل هذا النص تتمة للقسم الأول: **"الخدمة الإجتماعية في مواجهة الأزمات والكوارث"** - دراسة حالة لبنان بين العام ١٩٧٥ والعام ١٩٩٠ وبعد إنفجار ٤ آب ٢٠٢٠، نعرض فيه نبذة موجزة عن مبادرات ميدانية لعمّال/عاملات إجتماعيين/ات قاموا بها خلال سنوات الحرب، عبر مؤسّسات إجتماعية كان لها دوراً بارزاً في هذه الفترة، حاولوا من خلالها إستنباط وسائل عمل تلاءمت مع الواقع آنذاك.

نكرر الشكر لجميع الذين شاركونا تجاربهم وأولونا ثقتهم، ونعتذر مسبقاً مِن مَن لم نستطع الوصول إليهم، آملين أن نُكمِل المشوار وأن نذهب إلى أبعد من ذلك، لسرد سيرة حياة مَن كانت لهم خبرات وازنة في مجال الخدمة الإجتماعية.

وبالطبع، لا ننقل هنا تجربة المؤسّسة التي عَمِل فيها هؤلاء العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات والتي هي بالتأكيد أوسع وأشمل وتتطلّب المزيد من البحث.
ونذكّر أن المنهجية المتّبعة سَبق وفصّلناها في القسم الأول.

لائحة بالتجارب الميدانية التي استطعنا إلقاء الضوء عليها:

1- تجربة من خلال مركز حماية الأمومة والطفولة - حيّ الكرنتينا
Centre de Protection Maternelle et Infantile - MAS
2- تجربة من خلال جمعية أصدقاء مطاعم المحبة Restos du Cœur
3- تجارب من خلال الحركة الإجتماعية Mouvement Social
4- تجارب من خلال كاريتاس لبنانCaritas Liban
5- تجربة من خلال مركز المريجة للصليب الأحمر Croix Rouge Libanaise – Mreijeh
6- تجربة من خلال مركزالخدمات الإنمائية في برج البراجنة التابع لوزارة الشؤون الإجتماعية
Centre de Développement Social – MAS
7- تجربة من خلال جمعية خدمة الولد والأم في العائلة Service de l'Enfant au Foyer – SEF
8- تجربة من خلال جمعية الشبان المسيحية - لبنان
Young Men Christian Association - Lebanon - YMCA
9- تجربة من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط Middle East Council of Churches – MECC
10- تجربة من خلال مؤسسة التدريب على السمع والنطق Institut de Rééducation Audio-Phonétique
11- تجربة من خلال جمعية العناية الصحية
SIDC Soins Infirmiers et Développement Communautaire –
12- تجربة من خلال المركز الإجتماعي لرعاية الأمومة والطفولة التابع لراهبات المحبة - كرم الزيتون
Centre de Protection Maternelle et Infantile - Karm El Zeitoun
13- تجربة لإثنتين من الكوادر التعليمية، بصفة فردية، في المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي
Ecole Libanaise de Formation Sociale-Université Saint-Joseph – ELFS-USJ
14- تجربة من خلال المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي
Ecole Libanaise de Formation Sociale-Université Saint-Joseph – ELFS-USJ
15- تجربة من خلال تجمّع المؤسسات الأهلية - صيدا NGOs Platform of Saida
16- تجربة من خلال مركز نادي حدائق الرابية Rabieh Garden Club

17- تجربة من خلال السيسوبل
Service Social pour le Bien-être de l'Enfant au Liban – SESOBEL
18- تجربة من خلال مراكز متعددة لإيواء النازحين في الأوزاعي وضاحية بيروت الجنوبية
19- تجارب من خلال أرض البشر- لوزان Terre des Hommes-Lausanne
20- تجربة من خلال مستشفى دير الصليب للأمراض العقلية والنفسية - بقنايا Hôpital Psychiatrique de la Croix- Bqenayya
21- تجربة من خلال جمعية دار الأمل Dar el Amal
22- تجربة من خلال إتحاد حماية الأحداث في لبنان Union pour la Protection de l'Enfant au Liban - UPEL
23- تجربة من خلال مركز سنّ الفيل لمعاقي الحرب Centre Social pour Handicapés Physiques de Guerre - M.A.S.
24- تجربة من خلال عمل رعوي - إجتماعي في منطقة البقاع الشمالي

1. تجربة من خلال مركز حماية الأمومة والطفولة ـ حيّ الكرنتينا Centre de Protection Maternelle et Infantile MAS

في العام ١٩٧٨ تمّ تهجير حيّ الكرنتينا الذي كانت تقطن فيه عائلات معروفة **"بعرب المسلخ"** وعائلات من الطائفة الكردية وغيرها من العائلات الفقيرة والمُهمّشة. ومن المعروف أنه كان هناك مركز صحي إجتماعي منذ العام ١٩٤٨، عَمِلت فيه عاملات إجتماعيات كرسّن حياتهنّ لمساعدة المحتاجين في هذه المنطقة، وكان هذا المركز يُعتبّر محجّاً للكثير من المتدربّين في مجال الخدمة الإجتماعية والتمريض في تلك الأيام.

ومن المعروف أن بعض العاملات الإجتماعيات ساهمن في تسهيل عملية إنتقال العائلات من حيّ الكرنتينا إلى المناطق التي هُجّرت إليها حيث استقبلت الحركة الإجتماعية العدد الأكبر منها في الأوزاعي في مراكز إيواء جُهّزت خصيصاً لها. والمثال الأبرز كان في تردد إثنتان من العاملات الإجتماعيات، الآنسة منى خشّان والآنسة دانيال كريمونا، إلى مراكز الإيواء في الأوزاعي بهدف إكمال بعض المهام التي كانت قد بدأت مع هذه العائلات، وذلك بالرغم من المخاطر الأمنية وقطع الطرقات وصعوبة التنقل بين المناطق التي قسّمتها الحرب والتهديدات التي تعرّضن لها خلال هذه الفترة.

تُظهر لنا هذه التجربة أن الإلتزام المهني كان أهمّ من الإنتماءات المناطقية والطائفية وأكبر من المخاوف والمخاطر.

2. تجربة من خلال جمعية أصدقاء مطاعم المحبة Restos du Cœur

وُلِدت فكرة مطاعم المحبة في منزل إحدى العاملات الإجتماعيات، السيدة أنطوانيت قازان، في بداية حرب ١٩٧٥، حيث كان يتمّ إستقبال عدد من الأطفال الذين فقدوا عائلاتهم أثناء الحرب، على مائدة العشاء.

وبعد وفاة والدة هذه العاملة الإجتماعية وعلى طلب منها، بدأ والدها باستقبال الرجال الذين خسروا زوجاتهم، على مائدة الفطور، ومن ثم على مائدة الغذاء يومياً. وعليه اقترح الوالد على إبنته إنشاء مطعم، وهكذا كان. فانطلقت سلسلة **"مطاعم المحبة"** سنة ١٩٨٣، تحت ضغط الحاجة وظروف الحرب والتهجير، وفي طليعة هذه المطاعم، كان ولا يزال،

مطعم **"أهلاً وسهلاً"** في سنّ الفيل إذ تسلّمت مسؤوليته السيدة أنطوانيت قازان بمساعدة عدد من سيدات سنّ الفيل والعديد من الأهل والأصحاب. وبعد تهجير أهل الجبل في العام ١٩٨٨، بدأت الفكرة تكبر، مع الشروع بتوزيع وجبات ساخنة على العائلات المهجّرة والأطفال في مدارس سنّ الفيل والنبعة وغيرها من الأحياء القريبة. وقد لاقت هذه المبادرة إستحساناً وتأييداً عند كثير من الشخصيات اللبنانية التي راحت تدعمها، فتألّفت رابطة برئاسة الرئيس شارل حلو، أنشأت ودعمت مطاعم المحبة التي أضحى عددها ٢٣ مطعماً. واستحصلت الرابطة على علم وخبر بتأسيسها، من الدولة اللبنانية في ١٨ تموز ١٩٨٨ تحت رقم ٨٧/أد بإسم: **"أصدقاء مطاعم المحبة"**. وتوسّعت الفكرة، وما زالت مطاعم المحبة قائمة حتى اليوم موزّعة على مختلف المناطق اللبنانية، وما فتئت السيدة قازان تبذل الكثير لبقائها بشجاعة وعزم وإصرار وما دام إيمانها بأن العمل الإجتماعي هو، قبل كل شيء، خدمة وعطاء وحضور. ويقوم بالأعمال في هذه المطاعم متطوّعون من المجتمعات المحلية، يتحدّون الصعاب والمعوّقات للقيام بمهامهم. وكما قالت مؤسِّسة الجمعية: **"إن عمل المساعدة الإجتماعية هو كعمل النملة... قد يكون حجمها صغير ولكن حِملَها كبير وهي لا تتعب ولا تيأس".... وأكملت** "ولا أعتقد أن أيّة عاملة إجتماعية لم تقم بالإهتمام بجارٍ أو مسّن أو محتاجٍ خلال سنوات الحرب وإن بصفتها الشخصية...".

3. تجارب من خلال الحركة الإجتماعية Mouvement Social

تأسست الحركة الإجتماعية عام 1957 قبل بدء الحرب اللبنانية، وسرعان ما لبّت نداء أعمال الإغاثة في بداية الحرب، من خلال العمّال الإجتماعيين والمتطوعين الذين كانوا يعملون فيها والذين إلتزموا بمبادئها. والجدير بالذكر أن التجارب التي ذكرها العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات الذين حاورناهم، تمّت في مختلف المناطق اللبنانية: في الشمال، والجنوب، وبيروت، والهرمل، والنبطية، والبقاع. وفي مجملها جعل هؤلاء من العمل الإغاثي الآني منطلقاً لأعمال تنموية متعدّدة.

فكانت مبادرة إطلاق مشاغل الخياطة للنساء الأرامل في طرابلس مع السيدة كاتيا كارتينيان، ومن ثم تجهيزها بالمعدّات الحديثة والعمل مع السيدات وتدريبهن، ليس فقط على تقنيات الخياطة، بل على مواضيع الإدارة المالية والإنتاجية لإيصالهن إلى مرحلة الإستقلالية.

وكان لمشروع السيدة رولا حيدر مع **"الشباب المتعثّر"** الذي أضاعت عليه سنوات الحرب فرصة متابعة الدراسة، دور كبير وبارز في مختلف مراكز الحركة الإجتماعية، من تأهيل وتدريب مهني ومواكبة وإيجاد فرص عمل، بهدف إبعاد الشبّيبة عن مخاطر الإنحرافات وخلق روح المواطنة لديهم.

وكان كذلك لموضوع إبراز الأعمال الحرفية وتطويرها وتدريب الأشخاص المعنيين على إنتاجها وتسويقها، دور في إنشاء **"الحرفي اللبناني"** في العام ١٩٧٩.

وغيرها الكثير من البرامج نذكر منها برامج التنمية الريفية والمجتمعية، والتدريب المهني مع السيدة أمل مكرزل كما والعمل مع الأحداث في السجون، والإستلحاق المدرسي، والرعاية الصحية، وتأمين الدواء، والتي كان للعمّال الإجتماعيين الدور البارز فيها.

وكان كذلك إنشاء **"مركز التدريب على العمل الإجتماعي والتربوي في المشرف"** بين العام ١٩٨٤ والعام ١٩٨٩ والتي أشرفت عليه السيدة ليلى جابر.
وقد لا نفي الحركة الإجتماعية حقّها، لما كان لها من أدوار إيجابية وتأثير على العمل الإجتماعي والصحي بشكل عام، بحسب أقوال الكثيرين مِن مَن حاورناهم.

ولعلّ الهمّ الأكبر الذي كان لمؤسِّسها الأب غريغوار حداد هو التشبيك والتنسيق.
ولا بدّ لنا من التذكير بالرسالة التي أرسلها الأب غريغوار حداد إلى العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات، خلال حرب الـ ١٩٧٥، ينبّه فيها من مخاطر الإنزلاق، من خلال أعمال الإغاثة، إلى متاهات التبعية والإستزلام وجعل لبنان بلد الجمعيات والمنظمات الخيرية، ولو قرأناها اليوم لتبيّن لنا كم هي مطابقة للأوضاع الحالية.

4. تجارب من خلال كاريتاس لبنان Caritas Liban

كان لكاريتاس لبنان، الذي تأسس أول فرع له في الجنوب عام ١٩٧٤، دور بارز في أعمال الإغاثة في مجمل المناطق اللبنانية. وكان للعدد الكبير من العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات" الذين عملوا في كاريتاس، بالتعاون مع المتطوّعين وبقية العاملين، الدور الأساسي في إطلاق مشاريع متعدّدة ومتنوعة، وذلك من خلال "أقاليم" كانت تعمل كخلية نحل منذ المراحل الأولى للتهجير كما وفي المراحل التي تلت، من أعمال إغاثة ومساعدات مادية ومدرسية وطبية وإستشفائية، وعيادات نقّالة، وتنمية إقتصادية وإجتماعية.

سوف نتوقف فيما يلي عند البعض من هذه المبادرات:

- شكلّت محنة الجنوب نقطة إنطلاق كاريتاس لبنان، فشرارة الحرب اللبنانية بدأت في صيدا عام ١٩٧٥، وعرف أهلها منذ هذا التاريخ جولات متتالية من العنف والتهجير. ومن اللواتي كانت لهنّ أدواراً بارزة وجريئة خلال سنوات الحرب، المسؤولة عن كاريتاس لبنان الجنوبي حينها الأخت عايده يزبك، حيث كان التحدّي الأكبر يكمن في مساندة مَن تبقّى من العائلات في مناطق سكنهم، على الصمود رغم جولات العنف المتكررة بين العام ١٩٨٣ والعام ١٩٩٠(أحداث الشحّار والشوف، ومن ثم أقليم

الخروب والجبل، ومن بعدها شرقي صيدا ومغدوشة، إلى جانب الإجتياحات الإسرائيلية المتكررّة)، وما تركته من مآسي ودمار وموت. كما ساهمت في إيواء الكثير من العائلات التي نزحت من بيروت باتجاه الجنوب خلال حرب الإلغاء عام ١٩٨٩ - ١٩٩٠.

- تعاونت الأخت عايدة يزبك مع فريق عمل كبير ومتنوّع، كما ومع مختلف المؤسّسات والمنظمات الحكومية والأهلية والدينية من جميع الطوائف والإنتماءات، وعملت بحكمة وشجاعة وروية، في ظلّ واقع سياسي حسّاس وأوضاع مأساوية وظروف أمنية صعبة وخطيرة. كما ساهمت في إطلاق برنامج **"المتطوعين الشباب"**، والتي شكّلت مساهمتهم عنصراً فاعلاً في أعمال الإغاثة. وتبنّت كاريتاس هذا النمط من العمل، فدخل في صلب العمل الاجتماعي لاحقاً.

- تجربة أخرى خلال الحرب ساهمت فيها الأخت ألين عفيف، حيث أطلقت أول **"نادي لكبار السنّ"** في فرن الشبّاك، وكان يتضمّن، إلى جانب المطعم اليومي، معاينات طبية وتوزيع أدوية وخدمات صحية ومهام إنسانية تلاءمت مع الحاجات آنذاك وإن كانت بسيطة كقصّ الشعر وتقليم الأظافر وإجراء حمام اسبوعي...، إلى جانب النشاطات الترفيهية التي كانت أساسية لكبار السنّ الذين تهجّروا من قراهم. وتميّز هذا المشروع بمساهمة فاعلة لجميع فعاليات المنطقة بما فيها البلدية والجمعيات المدنية والأهلية ومتطوّعين من المجتمع المحلي. وكلّنا يعلم مدى تأثير التهجير على كبار السنّ، في هذه المرحلة، إذ كان شعورهم خسارة ماضٍ لن يعود.

ومما قالته الأخت ألين عفيف: **"إن عمل الإغاثة كان لا بدّ منه في وقت من الأوقات ولو لم يوجد لَكانت الناس ماتت من الجوع. ولكنّه لايمكن أن يكون قاعدة للعمل الإجتماعي... إذ أن عمل الإغاثة يعلّم الناس على الإتكالية..."**.

وتناولت مبادرة أخرى لها، موضوع المهمّشين من مستخدمي المخدّرات والمتعايشين مع فيروس نقص المناعة البشرية والمساجين، وساهمت في إطلاق الكثير من البرامج، بالتعاون مع مؤسّسات متعدّدة كـ **"تجمّع أم النور" "ومركز سان شارل للإدمان"** و **"مرشديّة السجون"** وغيرها، وعملت على التشبيك فيما بينها.

ومن أقوالها: **"على المستفيد من الخدمة أن يصبح متطوعاً فيها ..."** وأضافت **"الوضوح في الرؤيا وتحديد الأولويات وتغيير الوسائل تبعاً للأهداف والإندفاع والحكمة عناصر أساسية في العمل الإجتماعي" وأكملت "لم يكن الطابع الديني يشكّل حاجزاً في عملنا في أي وقت من الأوقات..."**.

- ولا نستطيع إلاّ أن نتوّقف عند تجربة أمضت فيها الآنسة بلانش مسعد أربعين سنة في كاريتاس وما زالت تعمل بنفس الحماس والعزيمة، وكان لها دور بارز في الكثير من

المشاريع والبرامج الرائدة رغم الصعوبات والمعوّقات، وكما قالت: **"كنت أعمل ليلاً نهاراً في بعض الأحيان... تحمّلت لأنني أحبّ عملي ... وتطلّب مني ذلك الكثير من الثبات والعزم والإصرار كما والتعاون والتشبيك مع مؤسّسات متعدّدة. كل ذلك في ظلّ ظروف الحرب الصعبة ومخاطر التنقلات بين المناطق"**. وتابعت: **"حاولنا أن تكون أعمال الإغاثة مبنية على إحترام كرامة الإنسان إنطلاقاً من فكرة تخفيف العبء عنه وتطوير مصادر القوّة الذاتية لديه وفي محيطه المباشر"**.

- وتجربة أخرى للسيّدة مادونا عدس التي أمضت كامل حياتها المهنية في كاريتاس قسم البقاع وراشيا، وكانت لها نشاطات متعدّدة ومتنوّعة لمساعدة العائلات في مواجهة المآسي التي نتجت عن الحرب، ودعم المزارعين وأصحاب المواشي المتواجدين في هذه المناطق على إنتاج الأجبان والألبان وتوزيعها على المحال التجارية القريبة في ظلّ إنقطاع المناطق عن بعضها. كما كان لها مبادرات لإنشاء التعاونيات الزراعية المحلية ومحاولة رائدة لدعم وإنتاج النباتات العطرية في محاولة لمساعدة الناس على الصمود، لكنها مع الأسف لم تلق هذه المبادرات الدعم الكافي لتطويرها.

- ولا بدّ لنا من التوقف عند المهمة التي لبّتها الآنسة جان غسطين، حيث أمضت ثمانية أشهر في قبرص عام ١٩٧٦، على طلب من المسؤولين عن كاريتاس، وذلك لمتابعة أوضاع العائلات التي كانت قد هربت في بدايات الحرب إلى قبرص عن طريق البحر نتيجة أعمال العنف والقصف، وكانت تعيش أوضاعاً صعبة في بلد لا تعرفه.

لم تكن مهمة هذه العاملة الإجتماعية سهلة لكنها لبّت النداء وتركت أهلها وعائلتها في ظروف صعبة ولحقت بالعائلات النازحة تجاوباً مع واجبها المهني وإلتزاماً بمبادئها.

5. تجربة من خلال مركز المريجة للصليب الأحمر Croix Rouge Libanaise – Mreijeh- CRL

بين العام ١٩٨٤ والعام ١٩٨٨ كان هناك تجربة رائدة في مركز المريجة للصليب الأحمر اللبناني، حيث قامت السيّدة ليلى جابر المسؤولة عن المركز، بجمع ما يقارب أربعين متطوّعاً ميدانياً من المجتمع المحلي، تركوا أحزابهم وتطوّعوا في مجال الإغاثة التي ما لبثت أن تطوّرت إلى أعمال تنموية بهدف تمكين الأفراد والعائلات من مواجهة الأوضاع الصعبة التي خلّفتها الحرب:

- فمن حالة توزيع الخبز على العائلات، إلى تأمين الطحين وإنشاء تعاونية وتأمين مستلزمات صناعة خبز الصاج في البيوت وتسهيل بيعها في السوبرماركت وتأمين مدخول إضافي إلى الأسرة من خلالها...

- ومن وضع شراء العكّازات وتوزيعها على ذوي الحاجات الخاصة، إلى إنشاء تعاونية لإنتاج العكّازات وبيع ما زاد منها على أن يعود ريعها إلى المعنيين أنفسهم...
- ومن واقع تواجد الأطفال ذوي الحاجات الخاصة في البيوت، إلى مساعدة ذويهم في تضمينهم داخل مدارس المنطقة وحَثّ عائلاتهم للمشاركة في تأمين النشاطات اللاصفية لهم وغيرها من النشاطات ذات الطابع الصحي والوقائي.

ومن الجدير ذكره أن هذا المركز كان من أوائل مَن أطلق حملات الوقاية من سرطان الثدي وأمراض القلب.
والبارز في جميع هذه النشاطات، كان تفعيل دور البلدية وحثِّها على المساهمة في هذه المشاريع.

6. تجربة من خلال مركزالخدمات الإنمائية في برج البراجنة التابع لوزارة الشؤون الإجتماعية (مصلحة الإنعاش الإجتماعي سابقاً)– Centre de Développement Social MAS

كان لمراكز الرعاية الصحية الأولية دور فاعل خلال حرب ١٩٧٥- ١٩٩٠ من حيث تأمين المساعدات الصحية والإجتماعية والقيام بأعمال الإغاثة (كنعان، نعمت ،٢٠٠٧)، وذلك بالرغم من تنوّع تسمياتها (مراكز صحية، مراكز صحية إجتماعية، مراكز تنمية شاملة، مراكز إنمائية أو غيرها).

على سبيل المثال، نذكر مركز الخدمات الإنمائية في برج البراجنة الذي تأسّس عام ١٩٧١ وكان له دور بارز ونموذجي خلال الحرب، من حيث تنوّع البرامج وتعدّدها وتفاعلها مع المحيط المباشر وتفعيل كافة المصادر البشرية والمؤسساتية المتواجدة فيه. وكان للسيدة ناديا توتل التي ترأسه دور رائد وقيادي واعتُبرهذا المركز لسنوات عديدة مركزاً نموذجياً للعديد من العاملين في مجال الخدمة الإجتماعية، كما وللمتدرّبين من مختلف الجامعات والمعاهد، من حيث انخراطه في المحيط وتفاعله مع القاطنين فيه واستنباط كافة الموارد وتفعيلها. وعَمِل في هذا المركز عدد من العاملات الإجتماعيات، كان لهم نفس الإندفاع والتفاني. وظلّ اسم العاملة الإجتماعية السيدة ناديا توتل التي أسسته وأَدَارته، مرتبطاً بهذا المركز لسنوات عديدة، وكان لها مكانة خاصة في بلدة برج البراجنة، لم يعكرّها يوماً الإنتماء الطائفي أو المناطقي.

7. تجارب من خلال جمعية خدمة الولد والأم في العائلة Service de l’Enfant au Foyer - SEF

ومن أهم البرامج أثناء فترة الحرب، كان برنامج مساعدة الأمهات الأرامل وأولادهن ضمن الأسرة. ففي العام ١٩٧٧، أرسلت مؤسسة SALVE الفرنسية لرعاية الأيتام مبعوثاً إلى لبنان كي ينظر في كيفية مساعدة الأيتام اللبنانيين وأمهاتهم في ظروف الحرب.

وفي العام ١٩٧٨، تم تأسيس مركز جمعية خدمة الولد والأم في العائلة بمساهمة عاملات إجتماعيات واكبن هذا المشروع في مختلف مراحله. وكانت نقطة الإنطلاق من الأبرشية المارونية في إنطلياس مع الآنسة مرسيل ضو والآنسة كلوديت نعمة. وكما قالت السيدة تريز طويلة المسؤولة عن مشروع SALVE (Service d'Aide au Liban pour Veuves et Enfants): **"خلفّت الحرب واقعاً مغايراً لم نكن نتوّقعه لكنه خلق لدينا مبادرات جديدة دفعتنا لكي نتكيّف مع الظروف الجديدة."**

وفي العام ١٩٨٠، وقّعت SALVE إتفاقاً مع هذه الجمعية كما تمّ في نفس الفترة توقيع إتفاق مع كاريتاس لبنان للقيام بمشروع مماثل استمّر حتى العام ٢٠٠٥ أشرفت عليه السيدة زينا ماضي. وفي العام ١٩٨١، تمّ الإتفاق بين SALVE و**"مؤسسة الحريري"** لإنشاء مركز في صيدا، ومن ثمّ في العام ١٩٨٥، في الشيّاح مع هيئة الصحة للإنسان، وبعد ذلك، تمّ التواصل بين SALVE والمديرية العامة للشؤون الإجتماعية التي كانت تقتصر مساهمتها في ذلك الوقت على رعاية الأطفال الأيتام في المؤسسات، بهدف بلورة هذا المشروع. وفي إطار التعاون بين المديرية العامة للشؤون الإجتماعية ومنظمة الأمم المتحده للأطفال UNICEF، وبهدف تطوير رعاية الطفولة في لبنان، تمّ التوافق على إعطاء أفضلية لرعاية الطفل في أسرته، عوضاً عن إدخاله الى المؤسّسات الإجتماعية، كما جرت العادة في حالات اليتم والأوضاع الإجتماعية والإقتصادية المتعثّرة. وقامت المديرية العامة للشؤون الإجتماعية وما كان يُعرف بمصلحة الإنعاش الإجتماعي في حينه، بطلب من المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي في جامعة القديس يوسف ELFS - USJ ومن معهد الدراسات النسائية في كلية بيروت الجامعية BUC بهدف تأهيل العناصر البشرية العاملة في هذا المجال، وبصورة خاصة العاملات الإجتماعيات في المديرية العامة للشؤون الإجتماعية وفي مراكز الخدمات الإنمائية كما وفي الهيئات الأهلية المعنيّة، للعمل انطلاقاً من هذه المنهجية.

وفي العام ١٩٨٥، تقرّر الإستفادة من **"صندوق جريلاك** Grelac"، وهو تسمية منسوبة لهبة قدّمتها إمرأة نمساوية لأيتام الحرب اللبنانية، لتوظيفه في مشروع نموذجي يطال الطفل في عائلته، وتمّ الإتفاق حينها على خدمة ما يقارب ٨٠٠ عائلة، عدد منها من خلال المراكز الإجتماعية التابعة للمديرية العامة للشؤون الإجتماعية والعدد الآخر من خلال المؤسّسات غير الحكومية. وبدأ العمل به عملياً عام ١٩٨٦ تحت إسم **"مساعدة الأمهات الأرامل ضمن الأسرة"**.

كانت تجربة رائدة في مجال التحوّل من العمل الإغاثي إلى العمل التنموي. وتمّت من خلال هذا المشروع وبمثابرة جميع العاملات الإجتماعيات اللواتي عَمِلن فيه، مواكبة الكثير من الأطفال الى أن كَبِروا وأصبحوا في الجامعات.

ووُضِعَت لهذه الخطة أُطر تنظيمية وإدارية وفنية حافظت على المرونة وحرية الحركة في الممارسة وفي إتخاذ القرارات من قبل العمّال الإجتماعيين، والتي كان لها الوقع الإيجابي على تطوّر العمل وتأقلمه مع الواقع كما قال أغلبهم.

وكانت أبعاد هذا البرنامج النموذجي تطال مستويات متعدّدة بدءاً من الدعم المادي والخدمات الأساسية للعائلة: كالصحة والتعليم وصولاً إلى برامج التأهيل المهني للأمهات ومساندتهن في الإدارة الأسرية والتخطيط للمستقبل وتمكينهن بهدف التوصل إلى إستقلاليتهن، وإعادة إنخراط العائلة في المجتمع، وإستعادة مكانتها بين الأهل والأقارب والأصحاب. وكان متوسط عدد السنوات لتمكين العائلة من الإتكال على نفسها لا يقل عن ٥ إلى ٦ سنوات.

وفي العام ٢٠١٥، تأقلمت جمعية SEF مع الواقع اللبناني، حيث لم تعد مشكلة الأيتام مطروحة كما في السابق، فتحوّلت إلى إشكالية العنف الأسري، وأصبحت مركزاً لمساعدة وإيواء النساء المعنفات وأولادهن. وما زالت السيدة زينة ماضي والآنسة مرسيل ضو، تعملان بنفس القواعد والأسس المهنية حتى اليوم.

ولا بدّ من التوقف عند أهمية الدور الذي قامت به هذه العاملات الإجتماعيات في بلورة الرؤية النموذجية لهذا المشروع منذ بداياته وفي متابعته وتطويره حتى أيامنا هذه.

8. تجربة من خلال جمعية الشبّان المسيحية- لبنان Young Men Christian Association - Lebanon – YMCA

ومع بداية الحرب إتجهت YMCA جمعية الشبّان المسيحيّة- لبنان والتي تأسست عام ١٨٩٠، إلى العمل في مجال الإغاثة وكان لها مساهمات فاعلة في هذا المجال. ولعلّ أهم الإنجازات كان في تلك الفترة **"مشروع أدوية الأمراض المزمنة"** الذي إنطلق عام ١٩٨٨ وغطّى جميع المناطق اللبنانية من خلال حوالي ٤٥٠ مستوصفاً ومركزاً صحياً بالتعاون مع وزارة الصحة اللبنانية وبدعم من منظمة الصحة العالمية. ويُشهد له أنّه ساهم في التخفيف من كثير من المشاكل الصحية.

وقد شاركت الآنسة جيني نوفل في نشاطات هذه الجمعية لسنوات عديدة وذلك في إطار أعمال الإغاثة مع النازحين ومع المتضرّرين من إنفجارات السيارات المفخّخة، وضمن برامج التنمية الريفية في القرى النائية ومشاريع التدريب المهني في هذه المناطق، وفي مشروع **"المخيمات الصيفية"**، الذي كان يجمع عدداً كبيراً من المتطوعين، والذي كان له الأثر الكبير على تحريك المجتمعات المحلية وتفاعلها وإنخراطها في العمل التنموي. وكان من بين هؤلاء المتطوعين الكثير من المتدربين في مجال الخدمة الإجتماعية وكان لهم كذلك دور بارز في هذا المجال.

9. تجربة من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط Middle East Council of Churches - MECC

بين العام ١٩٨٠ والعام ١٩٨٣ كانت هناك تجربة رائدة في منطقة عكار في مجال أعمال الإغاثة والتأهيل وإعادة الإعمار بين مجلس كنائس الشرق الأوسط والمدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي ELFS- USJ بدعم من السفارة الكندية. وكان للنواحي الصحية والوقائية والتربوية، حصة كبيرة في هذه النشاطات، وذلك من خلال حملات إنشاء ودعم مؤسسات صحية إجتماعية ومراكز تربوية. فتمّ هكذا برنامج نموذجي في قرية قنية أكروم في عكار، ساهمت فيه مديرة المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي آنذاك السيدة ماري نالتشيان بكثير من الفعالية والإصرار، وأمّنت له الدعم المادي والمعنوي، رغم ظروف الحرب وصعوبة التنقلات ومخاطرها. وكان للسيدة فوتين عودة من مجلس الكنائس، الدور الفاعل في هذا البرنامج، حيث كان إصرارها وتحدّيها للصعوبات العنصر الأساسي في نجاح العمل. وتضمّن هذا البرنامج، الى جانب الدورات التثقيفية، مشاريع تنموية في مجال الزراعة، وبشكل خاص، زراعة الزيتون. ومن ثم، توسّعت النشاطات إلى المناطق الأخرى.

إستمرّ العمل، بعد ذلك، في منطقة عكار، من خلال مشاريع إجتماعية متنوعة، شاركت فيها **"الحركة الإجتماعية"**، إلى جانب **"مجلس كنائس الشرق الأوسط"**، وكان لتفعيل دور كل من الشباب والمرأة الحصة الكبرى في هذه المشاريع، كما وكان لوزارة التنمية الإدارية ووزارة الشؤون الاجتماعية والبلديات دور داعم في مشاريع التنمية الريفية والزراعية والحرفية في هذه المنطقة.

ومما قالته السيدة فوتين عودة: **"أتذكر جميع مراحل العمل، فهو كان عملاً جماعياً يشترك الكل فيه، أكان مستفيداً او مساعداً أو مانحاً، بحيث كان يشعر المستفيد، في النهاية، بأن المشروع مشروعه، لأنه هو مَن سمّاه وهو مَن شارك في وضع أهدافه وفي تنفيذه، ولأنه جاء جواباً لحاجة ماسّة لديه."**

10. تجربة من خلال مؤسسة التدريب على السمع والنطق
Institut de Rééducation Audio-Phonétique

مبادرة أخرى كانت رائدة هي تجربة مؤسسة التدريب على السمع والنطق التي تأسست عام ١٩٦٠، حيث أخذت المسؤولة عن هذه المؤسّسة القرار بالانخراط في العمل الإغاثي منذ بدايات الحرب اللبنانية، وإنطلقت تجربة بياقوت، تلك القرية القريبة جغرافياً من المؤسّسة، والتي هُجِّر سكّانها الشيعة وجاء إليها مهجّرون من الدامور والشوف وشمال لبنان عام ١٩٨٩.

بدأ العمل في مجال الإغاثة مع السيّدة ندى زيدان والسيدة جوزيان شمالي في **"بيت السيدة"**، وهو منزل مؤقّت كانت تُنظَّم فيه جميع الأعمال الإجتماعية والخدماتية وأصبح لاحقاً حضانة للأطفال ونادي للشباب. وسرعان ما تطوّر العمل الإغاثي إلى عمل تنموي، حيث تركّزت الجهود فيه على ثلاثة عناصر أساسية وهي: العلم، والصحة، والعمل.
كان على العاملات الإجتماعيات آنذاك التصدّي لعدد كبير من التحدّيات، لعلّ أصعبها كان معالجة النزاعات بين المهجّرين الوافدين إلى بياقوت وبين مَن بَقي من العائلات التي كانت تسكن في هذا الحيّ ومَن عاد إليه.

وتجاوباً مع هذه الحاجات، إفتُتِح المركز الصحي الإجتماعي عام ١٩٩٠، وكانت أهمّ نشاطاته تقديم خدمات صحية وطبية وتربوية إلى جانب الخدمات الإجتماعية والخدماتية المتنوّعة. وعندما لم يعد هناك حاجة إلى الخدمات الصحية تمّ تحويل هذا المركز إلى مركز إجتماعي يتضمن إلى جانب الخدمات الاجتماعية دروساً مسائية ونادياً للشباب.

ومن ثمّ، أُطلِق مشروع مشغل **"أيادينا"** لمساعدة النساء في الإتكال على أنفسهن، من خلال العمل في مجال الخياطة والأعمال اليدوية. وهنا أيضاً بدأ تحدّي العاملات الإجتماعيات في مواجهة عقلية المرأة التي لم تعمل سابقاً خارج منزلها، واعتادت على الإتكالّة، كما ومواجهة عقلية الزوج الذي لم يكن يحبّذ فكرة عمل المرأة، بالإضافة إلى مواجهة **"عقلية المستعطي"** وتحويلها إلى عقلية **"المنتج"** من جهة، ومن جهة ثانية، المراهنة على تعايش أشخاص متباعدين ثقافياً ومذهبياً وعقائدياً على العمل معاً ضمن مشروع مشترك، ومواكبتهم لكي يصبحوا شركاء في العمل وفي الإنتاج وفي العيش المشترك.

كان للإلتزام والمثابرة والعناد وقوّة الإرادة الفضل في مواجهة هذه التحدّيات، وكما قالت السيدة ندى زيدان: **"المشاكل هي نفسها والآمال هي نفسها للجميع"**..."لقد كانت الكراسي التي تجلس عليها السيدات تقترب رويداً رويداً من بعضها" **..."وبالتالي تتلاشى معها المخاوف وتتضاءل الحواجز."**

11. تجارب من خلال جمعية العناية الصحية Soins Infirmiers et Développement Communautaire-SIDC

كان لجمعيّة العناية الصحية التي أسسها السيد ايلي أعرج بعد خبرة ميدانية غنية خاضها مع عدد من الشباب من هيئة طوارئ المركز الرعوي في سن الفيل خلال فترة الحرب عام ١٩٨٧، دور فاعل في منطقة سنّ الفيل-النبعة خلال الحرب اللبنانية، من حيث تنظيم الحياة في الملاجىء وفي المِنطقة ككل وتقديم خدمات الإغاثة وتنظيمها، وتشبيك عمل الجمعيات والمؤسّسات واللّجان الأهلية المتواجدة فيها. وكان لعدد من العمّال الإجتماعيين القاطنين في المنطقة مساهمات فاعلة في هذا المجال وكان التعاون وثيق مع تلك الجمعية.

إلى جانب ذلك، ساهم العمّال الإجتماعيون العاملون في الجمعية بإطلاق مشروع **"نادي الصحة المدرسية"** في المدارس الرسمية المتواجدة في منطقة سنّ الفيل-النبعة، وتضمّن هذا المشروع مواضيع تربية صحية وإنبثقت عنه فيما بعد مجموعة من الشباب إلتزموا بمنهجية جمعية العناية الصحية وإنخرطوا بنشاطاتها وتابعوا معها تدريبات مكثّفة واصبحوا فيما بعد عمّال متطوعين فيها.

وإنطلقت تباعاً في جمعية العناية الصحية برامج متعدّدة، طالت الفئات المهمّشة من مستخدمي المخدّرات ومثليي الجنس والمتعايشين مع فيروس نقص المناعة البشرية. وكان للسيدة بيرلا خليل والسيد نهرا المندلق والآنسة ناديا بدران دوراً بارزاً في مجال المساعدة المباشرة لهؤلاء الأشخاص ولعائلاتهم كما وفي مجال الدفاع عنهم وإحقاق حقوقهم. تنوّعت فيما بعد المنهجيات وطرق العمل ووسائل الوقاية والتوعية، نذكر على سبيل المثال: **"التّدخّل في الشارع" "وتدريب الأقران" "والوحدات النقّالة".**

12. تجربة من خلال المركز الإجتماعي لرعاية الأمومة والطفولة التابع لراهبات المحبّة – كرم الزيتون - Karm El Zeitoun Centre de Protection Maternelle et Infantile

شكّلت مبادرة السيدة أمال حرب في منطقة كرم الزيتون خلال ١٣ سنة من حرب ١٩٧٥، نقطة فارقة، حيث طالت مختلف النواحي الحياتية إلى جانب أعمال الإغاثة وإستقبال النازحين من مختلف المناطق اللبنانية نتيجة قصف الأحياء السكنية المجاورة والأوضاع الأمنية المتردية في أكثر من منطقة. فكانت البرامج الصحية والتربوية والإجتماعية، وكان العمل المباشر مع العائلات، وكانت برامج التوعية مع النساء والفتيات

وبرامج التوجيه والإرشاد مع الشبان والشابات، وكانت البرامج الترفيهية والثقيفية والبيئية مع الأطفال كما والبرامج التنموية.

ومن أهم الإنجازات، شراء مبنى في كرم الزيتون وتجهيزه ليصبح مركزاً إجتماعياً شرعياً أُطلق عليه إسم **"المركز الإجتماعي لرعاية الأمومة والطفولة"** التابع لراهبات المحبة في لبنان، وكان للعاملة الإجتماعية يومها دور أساسي في شراء وتجهيز هذا المبنى.

رافق هذه التجربة الكثير من المثابرة والعناد وتحدي الصعوبات. وكما قالت السيدة أمال حرب: **"كانت الأم ماري كلير سعد ونظرتها الثاقبة سندي في كثير من مراحل العمل... لم أتوقف يوماً من التطّلع إلى الخروج من أعمال الإغاثة الآنية وإطلاق مشاريع لها طابع تنموي بمشاركة القاطنين في الحيّ."**

13. تجربة لإثنتين من الكوادر التعليمية، بصفة فردية، في المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي- جامعة القديس يوسف

Ecole Libanaise de Formation Sociale - Université Saint-Joseph, ELFS- USJ

بين العام ١٩٨٩ والعام ١٩٩٠ دارت بين الأحياء السكنية في بيروت دورة جديدة من العنف، وكانت هناك مبادرات متعدّدة لمساعدة القاطنين في هذه الأحياء على مواكبة الواقع، نذكر منها تجربة رائدة أطلقتها بصورة عفوية ومستقلّة الأخت نهى دكاش، وهي أستاذة في المدرسة اللبنانّة للتدريب الإجتماعي، في أحياء عين الرمّانة، وفرن الشبّاك، وبدارو، والتحويطة. وعلى مثال بقية المبادرات، تطلّبت الأوضاع التي كانت سائدة، الكثير من الشجاعة والجهوزية والتنظيم والتنسيق والسرعة في التحرّك. دامت هذه المبادرة ثمانية أشهر وشارك فيها فريق من ٢٠٠ متطوع، كان عليهم العمل في ظروف صعبة، من قصف للأماكن السكنية وقنص وتعصّب طائفي وعقائدي، وقلّة في الإمكانات وصعوبة في وصول المساعدات.

الأبرز في هذه التجربة، أنّه في نهايتها، إستطاع القيّمون عليها إستخلاص أهمّ المبادئ والأسس التي إرتكزوا عليها حينها وإلتزموا بها. حيث كان يتمّ في نهاية كل يوم عمل، لقاء تقييم لما نُفِّذ، وتنظيم لما سوف يُنفّذ.

نذكر كذلك تجربة قامت بها السيّدة مي هزاز هي أيضاً أستاذة في المدرسة اللبناية للتدريب الإجتماعي، حيث إنطلقت، من مكان سكنها مع فريق من الشباب والصبايا المتطوّعين لتقديم المساعدات في منطقة الحدث التي كانت تُعتبر حينها من المناطق الأكثر عرضة للقصف والعنف.

ومن المعلوم أنه خلال الحرب اللبنانية التي دامت ١٥ سنة، غالباً ما أُجبرت الأوضاع الأمنية الكثير على البقاء في أماكن سكنهم لفترات طويلة، ما دفع بعضهم الى الإنخراط في أعمال الإغاثة في الأماكن التي استطاعوا الوصول إليها.

قُسِّمت حينها البلدة إلى ستة مناطق ووُزِّعَت المهام مع الأخذ بعين الإعتبار الأوضاع الأمنية وسهولة التحرّك، وقامت كل مجموعة بنشاطات متنوّعة كان لها وقع "البلسم" في هذه الفترة، من توزيع المياه والخبز والأدوية وحليب الأطفال والإهتمام بكبار السّن ومعالجة النفايات. وأحصَت هذه المجموعة سكّان المنطقة، ووضعت لوائح أسمية لقاطنيها مع ذكر فئة الدم، لتسهيل عمليات الإسعاف في حالات الطوارىء. وكان للسيدة هزّاز في هذا الفريق دور قيادي من حيث تنظيم العمل وتوزيع المهام وقيادتها وحثّ الجميع على إحترام الخصوصية وتقبّل الآخر ومعالجة النزاعات الحزبية التي كانت تحصل. وبالطبع كان لها دوراً في تنظيم دورات تدريبية تبعاً للحاجات. ومما قالته: **"أتمنّى أن تتبّدل الأوضاع وأن يحصل تغيير جذري في السياسات والبرامج والعقليات كي لا نعود إلى مثل هذه الأيام..."**.

14. تجربة من خلال المدرسة اللبنانية للتدريب الاجتماعي- جامعة القديس يوسف Ecole Libanaise de Formation Sociale - Université Saint-Joseph, USJ–ELFS

تمثّلت بعض فترات حرب ١٩٧٥ بوسيلة جديدة من وسائل الحرب اللبنانية وهي **"السيارات المفخّخة"** التي كانت تُفجَّر في الأحياء السكنية والتي كانت، الى جانب القتل بأبشع مظاهره، تشرّد المئات من العائلات وتُخَلّف وراءها الكثير من الدمار والخراب والكثير من الجرحى وتترك مَن سَلِم مع إعاقات دائمة مختلفة. وكانت هذه الوسيلة الجهنمية تخلق لدى الفئات المتضرّرة كما ولدى جميع المواطنين حالات من الرعب والقلق والإحباط يصعب تخطّيها مادياً كما ومعنوياً من دون سند أو مساعدة. وساهمت هذه التجربة في ملء الفراغ حينها ولو مرحلياً.

فانطلقت المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي تحت اشرافي شخصيا مع عدد من العمّال الإجتماعيين والمتطوّعين والجمعيات الأهلية، في مشروع أطلقت عليه تسمية **"التدخّل الإجتماعي السريع"** في المرحلة التي تلي تدخّل فرق إسعاف الّدفاع المدني والصليب الأحمر، لكي تساهم في التخفيف من وقع المأساة وتساعد أهالي الأحياء المتضرّرة في البحث عن قريب أو الإطمئنان على أحد أفراد العائلة أو التفتيش عن مكان للإقامة المؤقتة أو تأمين الحاجات الأساسية التي فُقِدت وغيرها من عمليات الإسعاف الإجتماعي والدعم النفسي.

كانت هذه الفرق موزّعة جغرافياً حسب مناطق سكن العمّال الإجتماعيين لتمكين هؤلاء من الوصول بسهولة إلى مكان الحادث في حال كانت الطرق مقطوعة.

وكان التعاون وثيقاً في تلك المرحلة مع جمعية الشبّان المسيحية YMCA التي دعمت هذه العمليّة خلال الفترة ما بين العام ١٩٨٦ والعام ١٩٨٧ والتي طاولت خلالها ستة أحياء سكنية في مدينة بيروت، طالها إنفجار سيارات مفخّخة.

أثمرت هذه المبادرة عن إدخال معطيات جديدة على مواد التدريب والإعداد خاصة في مجال التدخل الإجتماعي في الحالات الطارئة.

وبين العام ١٩٧٨ والعام ١٩٨١ كما وبين العام ١٩٨٧ والعام ١٩٨٩، قامت المدرسة اللبنانية للتدريب الاجتماعي- جامعة القديس يوسف ELFS-USJ" بمساعدة عدد كبير من العائلات بعد نزوحهم من مناطق متعدّدة نتيجة دورات العنف المتكرّرة (صقر،صولانج، وقاعي، هيام، ١٩٩٩) . وتمّ إستقبالهم في مدارس أو كنائس أو جوامع أو في مبانٍ قيد الإنشاء أو في تجمّعات سكنيّة تمّ تأهيلها لتستطيع إستقبال العائلات بشكل لائق يحترم أبسط وسائل العيش.

كان هناك عمل دائم مع هذه العائلات لمساعدتهم في التأقلم مع واقع إجتماعي وجغرافي جديد ومواكبتهم في تسيير أمورهم الحياتية وتحضيرهم رويداً رويداً إمّا لإعادتهم إلى أماكن سكنهم السابقة، في حال سمحت الأمور الأمنية بذلك، وإما لمساعدتهم على التأقلم في المناطق التي اختاروها لسكنهم، وإما بمواكبتهم بإنتظار ظروف أفضل للعودة، وفقاً لما جاء في برامج العودة لاحقاً.

كانت تجرِبَة غنيّة جداً ساهم فيها عدد من المسؤولين التربويين والطلّاب في العمل الإجتماعي، ودَعَم هذا العمل عدد من الجمعيات المحلية والأجنبية. وكنت يوما منسقة المشروع.

وبين العام ١٩٧٧ والعام ١٩٩٠، نظمّت المدرسة اللبنانية للتدريب الاجتماعي الكثير من الدورات التدريبية لعلّ أبرزها، دورة تدريبية من ٢٠٠ ساعة، حول التدخّل الإجتماعي في حالات الكوارث أحياها موفدون من الصليب الأحمر الفرنسي في العام ١٩٨٨، جاؤوا خصيّصاَ من فرنسا للمشاركة بخبرتهم. نُظِّمت هذه الدورة في مدرسة الفرنسيسكان في بدارو وهو مكان كان يُسَمّى في هذه المرحلة خطوط التماس، التي كانت تشطر مدينة بيروت إلى منطقتين: المنطقة الشرقية والمنطقة الغربية. شارك فيها عدد كبير من العمّال الإجتماعيين كانوا يتوافدون من مناطق متعدّدة من مدينة بيروت التي كانت تجزّؤها سواتر ترابية وعمليات قنص. وكان ذلك علامة تحدّي صادقة وجريئة في مواجهة هذه الحواجز من قبل العاملين الإجتماعيين.

ومن الملاحظ أن مُجمل كليّات ومعاهد الخدمة الإجتماعية تحدّت الواقع الأمني فأعطت، الأولوية للتدريب المكثّف لطلّابها ولم تتوقف غالبية المعاهد عن العمل خلال هذه الفترة. وكان حماس الطلاب كما الأساتذة دافعاً للإستمرارية وأملاً بتحديّ الحرب التي رفضها الكثير من اللبنانيين.

وكان لافتاً أنّه حتى في الأيام التي شحّ فيها البنزين ولم يكن بالإمكان التّنقل إلاّ بصعوبة، أخذت المسؤولة عن المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي آنذاك، مهمة تأمين البنزين للاساتذة ليقوموا بالتعليم في منزل قدّمته إحدى العاملات الإجتماعيات لإيواء الطلاّب وتمكينهم من متابعة تعليمهم، وتكرّرت هذه المبادرة أكثر من مرّة. وكان في ذلك مثال واضح عن الرغبة في تحدّي الصعوبات ومواجهة الواقع.

وكان لمعهد الدراسات النسائية التابع لكليّة بيروت الجامعية، خلال فترة الحرب، دور أساسي في تنظيم عدد من الدورات التدريبية المكثّفة حول مواضيع **"التربية المختصة" "والعمل مع الجماعات" "ومعالجة النزاعات" "والعمل الإنمائي"**، في مناطق متعدّدة في لبنان. ومن المهم العودة لاحقاً لإستذكار تجارب أخرى في هذا المجال من قبل هذا المعهد.

ومن المهم كذلك، العودة إلى تجارب مماثلة قامت بها جامعات ومعاهد أخرى، كالجامعة اللبنانية، وكليّة الصحة العامة، وجامعة هايكازيان وغيرها من الجامعات والمعاهد، خلال سنوات الحرب.

15. تجربة من خلال تجمّع المؤسّسات الأهلية في صيدا
NGOs Platform of Saida

وفي منطقة الجنوب، كان هناك الكثير من المبادرات، إذ أن مُجمل الجمعيات والمراكز الإجتماعية إنخرطت بأعمال الإغاثة. ولعلّ تجربة تجمّع المؤسّسات الأهلية في صيدا تستأهل التوقّف عندها، حيث تجمّع، في العام،١٩٨٠ عقب الاجتياح الاسرائيلي، ومن خلال هيئة تنسيق المستوصفات، بعض الجمعيات العاملة في مجالات مختلفة، من صحية وإجتماعية وتربوية رغبةً منها في تكامل أعمال الإغاثة وتنظيمها وتسهيل تأمينها. وكما قالت إحدى المساعدات الإجتماعيات: **"الإندفاع مهّم جداً، لكن غير كافٍ، إذا لم يتزامَن مع وضوح في الرؤيا وتخطيط مسبق لكل عمل..."**.

بدأ هذا التجمّع بخمسة جمعيات وأصبح عددها اليوم يناهز الستين جمعية، واستطاع تخطّي الإنتماءات الحزبية والطائفية والعقائدية وتمكّن، خلال كل هذه الفترة، من الإلتزام بقواعد الديموقراطية، من حيث الإنتخابات الدورية والتناوب على الإدارة والإجتماعات الدائمة للجمعية العمومية. وأصبح له مكتباً في البلدية وتَواجد فاعل ضمنها منذ أوائل

التسعينات. ونلحظ أن عدداً كبيراً من العمّال الإجتماعيين، لعب دوراً فاعلاً ورياديا في هذا التجمّع، من خلال الجمعيات والمؤسّسات التي كانوا يعملون فيها والتي هي من ضمن هذا التجمع.

ونذكر أن هذا التجمّع ساهم في أعمال الإغاثة في آب ٢٠٢٠ في بيروت منذ الساعات الأولى للإنفجار.

والجدير بالذكر أيضاً، أنه خلال الحرب، تَشكّل الكثير من التجمعات ومن هيئات التنسيق في برج حمود /سنّ الفيل/ النبعة وفي طرابلس والبقاع وغيرها من المناطق اللبنانية، لم تسنح لنا الفرصة بالتوسّع في نشاطاتها، على أمل الوصول إليها في المستقبل.

16. تجربة من خلال نادي حدائق الرابية

تجربة أخرى لا بدّ من التوّقف عندها. ففي أعقاب تهجير أهالي الدامور ووصولهم عن طريق البحر في قوارب صغيرة إلى شواطىء الكسليك، سارع الكثير من الجمعيات والأفراد لإيوائهم والإهتمام بهم، ومن بينهم مختارة بلدة الرابية السيدة نبيلة فارس هي متخصّصة في الشؤون الإجتماعية، وكان لها دور فاعل في إيواء ما يقارب أربعمئة شخص في مجمّع الرابية مارين في بلدة الرابية المتنية (فارس، نبيلة ١٩٥٣- ٢٠٢٢). ومما قالته حين تمّ إستقبال العائلات: "... **لقد أصبح هؤلاء ضيوفاً عندنا، ومنذ هذه الساعة أصبحوا في عهدتنا وعلينا الإهتمام بهم...**" وتابعت: **"درست خطّة في رأسي، لم تكن صعبة إذ أنها من صلب إختصاصي في العمل الإجتماعي، إلاّ أن العبرة في التنفيذ."**

وبدأت ورشة العمل فتجنّد لذلك فريق عمل من أهالي الرابية مستعد للمساعدة، وفُتِحَ نادي البلدة لإستقبال المساعدات العينية التي كانت تُرسَل يومياً إلى الرابية مارين حيث تمّ إيواء العائلات في غرف محدّدة، ووُضِعَ على باب كل غرفة أسماء المقيمين فيها، وكما قالت: **"نظّمنا الحياة داخل المجمّع: فريق للطبخ، وفريق للتنظيف، وفريق للاهتمام بالنشاطات الترفيهية والتربوية للأطفال، وتُقلّب هذه الأدوار اسبوعياً. كانت القواعد تسري على الجميع بشكل مدروس فاحترام كرامة الإنسان كان من أهم مبادئنا في العمل"**.

والجدير ذكره هنا، أن جمعية اكسوفيل – الجمعية المدنية لضمان حياة الطفل في لبنان ACSAUVEL Civil Association for Safety of the Children in Lebanon التي أسستها السيدة نبيلة فارس عام ١٩٧٩ وما زالت ترأسها حتى الآن، جاءت وليدة هذه التجربة. وكما قالت: **"كان لا بدّ من إنشاء شيء خاص بالأطفال، فهم الضحية الأكبر في حرب الكبار العبثية"**.

17. تجربة من خلال السيسوبل Service Social pour le Bien-être de l'Enfant au Liban- SESOBEL

مشكلة الإعاقة كانت من أبرز المشاكل التي خلّفتها الحرب، ومن نتائجها السلبية كان توّقف الكثير من مؤسسات الرعاية الإجتماعية لذويّ الحاجات الخاصة أو ذوي الإرادات الصلبة عن العمل، فأطلقت السيدة ايفون الشامي النّداء، ولبّت الدعوة السيدة صولنج صقرمع فريق عمل متعدّد الإختصاصات، وتأسست جمعية السيسوبل عام ١٩٧٧.

وما لبثت أن لحقت بفريق العمل السيدة فاديا صافي، وانطلق المشروع في خضمّ الحرب اللبنانية وكما قالت السيدة صافي: **"بسبب الحرب إضطررنا أن نوقف بعض البرامج لنقوم بأعمال إغاثة المهجرين، والحرب علمتنا أن نعتمد على أنفسنا في دعم وتمويل مشاريعنا وبرامجنا. لم نرض بالواقع ولم نتكيّف معه، لكننا حاولنا أن نجاري الأوضاع"**. وأكملت: **"لم نقبل أن نغيّر طريقة عملنا تبعاً لمصادر التمويل أو أن نساوم على مبادئنا للحصول على مساعدة، ومهما اشتدّت الظروف كان فريق العمل يتحلّى دائماً بالحماس وروح المبادرة ونفسية التطوّع إلى جانب المهنية العالية المستوى التي كانت ترافقنا"**.

أدخلت السيسوبل مفاهيم جديدة ومتطوّرة للعمل في هذا المجال وبالأخصّ العمل مع المحيط المباشر وغير المباشر، والتركيز على التشخيص، والمتابعة، والسعي إلى التضمين داخل المجتمع، والعمل مع العائلات ومساندتهم وتدريبهم على متابعة أطفالهم حتى بعد تخطّيهم عمر المراهقة، كما والعمل على المجتمع لتقبّل الإختلاف، وخلق الوعي الإجتماعي بالنسبة لموضوع الإعاقة، والمساهمة في الأعمال البحثيّة. والهمّ الأكبر كان في تطوير القوانين والسياسات الإجتماعية الكفيلة بإحقاق حقوق هذه الفئة كونهم مواطنون كما غيرهم.

ولعلّ أهم إنجاز كان مساهمة السيسوبل من خلال السيدة صولنج صقر في اللجنة التأسيسية للمعوّقين داخل وزارة الشؤون الإجتماعية ومشاركتها الفاعلة في صياغة القانون ٢٠٠/٢٠٢٠ الذي كان له مفاعيل هامة على ذوي الإرادات الصلبة، وإن لم تُستكمل حتى اليوم. ومما قالته بهذا الصدد: **"على العمل الإجتماعي أن يواكب القضايا المجتمعية والحياتية... وعندما يَكون هناك مجموعات لا تستطيع الحصول على حقوقها، يجب أن تكون الخدمة الإجتماعية إلى جانبها..."**. **"لا نستطيع أن نعمّم الخدمة الإجتماعية على كل البيئة الإجتماعية، لكن باستطاعتنا إيجاد قوانين تُحْدِث إختلافاً لصالح المواطنين وتجعلهم يطالبون بحقوقهم ..."**.

والجدير بالذكر، أن تجارب أخرى ناجحة قام بها عدد من المؤسسات الإجتماعية في مجال الإعاقة وفي أماكن متعدّدة من لبنان، نأمل في إلقاء الضوء عليها يوماً.

18. تجربة من خلال مراكز متعدّدة لإيواء النازحين في الأوزاعي وضاحية بيروت الجنوبية

خلال سنوات الحرب، لم تمنع الأوضاع الأمنية السائدة رغم المخاطر التي كانت تشكّلها، العمّال/العاملات الإجتماعيين/ات من ممارسة إلتزاماتهم. ونذكر هنا ما قامت به السيدة وفاء سويد كنعان من حضور فاعل إلى جانب العائلات النازحة والمتضرّرة من جرّاء الحرب في مراكز متعدّدة من خلال جمعيات ومؤسّسات مختلفة: جمعية الطفل اللبناني في حارة حريك، هيئة الإغاثة اللبنانية، مخيّمات النازحين في الأوزاعي، كما وفي ما كان يُسمّى بـــ**"منطقة المسابح"**، وغيرها من المناطق التي استقبلت النازحين. وهكذا ساهمت هذه العاملة الإجتماعية في الكثير من أعمال الإغاثة، ولم تكن تَهاب أعمال القصف وتسكير الطرقات وغيرها من مخاطر الحرب.

نذكر البعض ممّا قالته السيدة كنعان: **"التحدّث بشفافية والتفاوض والوساطة والإقناع هي من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها العامل الإجتماعي بهدف إيصال الحقّ لأصحابه..."** وكانت تؤمن بأهميّة عمل الدولة إذ قالت **"إن عمل الجمعيات الأهلية مهمّ جداً وفاعل في الحالات الطارئة وحالات الكوارث، لكنّه غير كافٍ، فهو بحاجة للمأسسة والتنظيم..."**. **"المبادرات الفردية مهمّة لكنها نفتقد للرؤيا والشمولية والإستمرارية..."**.

19. تجارب من خلال أرض البشر - لوزان Terre des Hommes - Lausanne

لعلّ تجربة السيدة تقلا واكيم في أرض البشر وهي التي عانت من التهجير، هي وعائلتها أكثر من ٩ مرّات خلال الحرب اللبنانية، من دون أن يجعلها ذلك تتوّقف عن العمل، أكبر دليل على الإلتزام المهني. فكانت تؤمّن إستمرارية العمل أينما وُجدت. وكما قالت: **"شعرت بالغضب مراراً، لكن عندما يكون الشخص الذي يطلب المساعدة أمامي، لا أرى فيه إلاّ الإنسان بغضّ النظر عن انتمآته وعقائده..."**. وأكملت: "الإختلاف كان مصدر قوّة لي". ولقد نالت على جهودها هذه جائزة تقدير من أرض البشر - لوزان سويسرا في نهاية مسيرتها المهنية. كما كانت عضواً مؤسّساً في تجمّع المؤسّسات الأهلية في صيدا.

ولم تكن تجربة السيدة جورجيت عازار التي عملت كذلك في أرض البشر أكثر من ١٦ سنة، أقلّ أهمية حيث تنقّلت ما بين باب التبّانة في طرابلس، وحيّ السلّم، والنبعة، وبرج البراجنة في بيروت. وكما قالت: **" هذه المناطق هي الأكثر فقراً وبؤساً وإهمالاً..."**. وأكملت: **"ساعدني العمل الإجتماعي في هذه المناطق على أن أمارس إنسانيتي... وأبلور شخصّيتي ودفعني إلى الإنفتاح على الغير المختلف..."**.

ولم يقتصر العمل الإجتماعي خلال سنوات الحرب على أعمال الإغاثة، بل تابع الكثير من الجمعيات والمؤسّسات التي تهتم بالحالات الخاصة، أعمالهم رغم الصعوبات.

20. تجربة من خلال مستشفى دير الصليب للأمراض العقلية والنفسية- بقنّايا - Hôpital Psychiatrique de la Croix Bqennaya

من التجارب التي يجب التوّقف عندها، تجربة السيدة وداد جميّل شهاب في مستشفى دير الصليب التي تحدّت المخاطر والصعاب لتحافظ على نوعية التدّخل الإجتماعي مع الأشخاص الذين يعانون من أمراض عقلية ونفسية، والمدمنين على المخدّرات داخل المستشفى وخارجه. ولم تتوقّف يوماً أمام صعوبة التنقل إلى مناطق غير آمنة أو بعيدة وفي بعض الأحيان في ساعات متأخّرة من الليل، عندما كانت الحالة تستدعي حضورها وكما قالت السيدة شهاب: **"جاهدت من أجل إبقاء العلاقة بين المريض في المستشفى وعائلته، وواكبتُ الأشخاص في مراحل خروجهم من المستشفى وعودتهم إلى الحياة الطبيعية، وساعدتهم في الحصول على حقوقهم وساهمت في اعادتهم إلى محيطهم والعمل من أجل حضنهم مجدداً".** وأكملت: **"لم أكن وحدي في المهمّة بل كنا نتشارك المهام مع زميلاتي العاملات الإجتماعيات في المستشفى."**

وتابعت: "علينا كعمّال إجتماعيين تقييم عملنا بشكل دائم لكي نتجنب الإنزلاق إلى الجمود والتقوقع وهما الخطرين الأكبر على العامل الإجتماعي"... **"علينا أن نتحلّى بكثير من المحبّة والعطاء وأن نتعمّق في الحالات الإجتماعية ولا نتوقّف عند المظاهر... وأن نُؤمن أن الإنسان قادر على التغيير."**
الإصرار، والثبات، وحبّ العمل، والتفاني، رافقوا هذه التجربة.

21. تجربة من خلال جمعية دار الأمل Dar el Amal

شكّل العمل مع الفئات المهمّشة، كالأطفال المشرّدين والمعرّضين للإنحراف والفتيات المعرّضات للعنف والإستغلال وغيرهم من الفئات المهمشّة، تحدّياً كبيراً خلال سنوات الحرب، وقبلت الآنسة ناتالي شمالي، التحدّي وأكملت المشوار من خلال جمعية دار الأمل، وبصورة خاصة من خلال مراكز الصفا. وتنقلت في عملها ما بين برج حمود، وسنّ الفيل، ورويسات الجديدة، والضبية. ورافقت الفتيات والشابات في أماكن تواجدهن. وكما قالت: "إن لدى العامل الإجتماعي إمكانية سريعة في التأقلم مع الواقع، وفي إبتكار وسائل عمل جديدة، وهذا التأقلم لم يؤثّر على نوعية عملي بل اعطاني دفعاً جديداً..." وأردفت قائلة: "تسمية مراكز الصفا جاء من إسم فتاة تُوفيت في حادث حينها وكان إسمها صفاء."

ومما قالته الآنسة ناتالي شمالي أيضاً: **"علينا تحصين مهنة العمل الإجتماعي وتحصين العاملين فيها، لكي لا نرزح تحت وطأة الكمّ الهائل من الجمعيات التي توافدت إلى لبنان وغالباً ما أملت علينا طرق عمل مُغايرة، ليست بالضرورة متلائمة مع واقعنا."**

22. تجربة من خلال إتّحاد حماية الأحداث في لبنان Union pour la Protection de l'Enfant au Liban - UPEL

لم ينجو قطاع الأحداث المنحرفين من ويلات الحرب، فأُغلق مركز الملاحظة في الوروار، ومعهد الإصلاح في اليرزة، ومنزل الجميّزة في بيروت وهو الذي كان يستقبل الأحداث فور خروجهم من معهد الإصلاح بهدف تحضيرهم للإنخراط مجدداً في المجتمع.

وانكفأ الجميع في مركز الفنار مع عدد قليل من العاملين. ولم تيأس السيدة ميراي خديج التي واكبت الأحداث المنحرفين خلال ٤٥ سنة من حياتها المهنية. ولم تتخلّى يوماً عن مواظبتها على العمل مع الأحداث ومن أجلهم، رغم الصعوبات والمعوّقات وقلة الموارد وضعف الإمكانيّات البشرية والأوضاع الأمنية المتردية. وكما قالت: **"التحديّات كانت كثيرة لكننا رغم الصعوبات وقلّة عددنا وتواضع إمكاناتنا حافظنا على نوعية عملنا... ولعل أجمل مكافأة كانت عندما قال لي أحد الصبية لدى مغادرته المركز: سوف أعود لزيارتك، فلو تعرّفت عليك خلال طفولتي لما كنت تعرّضت لما تعرّضت له ولما انزلقت في أعمال كالتي قُمت بها. كُنتِ خشبة خلاصي."** لقد جسّدت هذه العاملة الإجتماعية الإلتزام والتضحية في قضية آمنت بها وعملت لها بصمت وتواضع وثبات.

23. تجربة من خلال مركز سن الفيل لمعاقي الحرب Centre Social pour Handicapés Physiques de Guerre - MAS

في بدايات سنة ١٩٧٦، وعلى أثر العدد الكبير لمعوّقي الحرب اللبنانية، من محاربين وأشخاص عاديين أصيبوا من جراء القصف والقنص والإنفجارات، تمّ إنشاء مركز بيت شباب لمعاقي الحرب. وكان من أهم أهدافه إعادة تأهيل المعوّقين. عمل في هذا المركز عدد كبير من الإختصاصيين، كان من بينهم عاملات إجتماعيات أخذن على عاتقهنّ مساعدة عائلات هؤلاء الأشخاص من الناحية الإجتماعية والإقتصادية والحياتية. وبسبب تزايد الأعداد وبهدف متابعة المعوّقين الذي غادروا مركز بيت شباب ومساندتهم في عودتهم إلى محيطهم، إنبثق عن هذا المركز مركز آخر في سنّ الفيل بدعم مباشر من مصلحة الإنعاش الإجتماعي. أوكلت إدارة هذا المركز إلى السيدة ماري- روز رحمة عوّاد

التي كانت تعمل في مركز بيت شباب، فحاولت، مع فريق عمل متعدّد الإختصاصات، بكل عزم وإصرار وكفاءة، تقديم الدعم لمعوّقي الحرب ومساعدتهم في إستعادة شيء من إستقلاليتهم، من خلال برامج هادفة تأهيلية وإنتاجية وإجتماعية، وأمّنت لهم بدايات لحياة كريمة، وساهمت في عودتهم إلى عائلاتهم. كل ذلك في ظروف أمنية صعبة حتى جاءت حرب الإلغاء عام ١٩٩٠ ودمّرت المركز وأنهت ما كان قد بدأ العمل فيه، فانتهت معها آمال وأحلام العاملين فيه كما والمستفيدين منه. وكما قالت: **"كان علينا إبتكار كل شيء: وسائل العمل وإمكانات تأمين التجهيزات والبرامج الملائمة والتعاون مع الجمعيات والمؤسّسات الداعمة لعملنا"**.

24. تجربة من خلال عمل رعوي- إجتماعي في منطقة البقاع الشمالي

وفي الختام لا بدّ من التوّقف بإجلال وإحترام عند تجربة الأب اليسوعي، الأب نيقولا كلويترز Nicolas Kluiters التي إنتهت باستشهاده، وهو العامل الإجتماعي الذي نال شهادة الخدمة الإجتماعية في العام ١٩٧٠، من المدرسة اللبنانية للتدريب الإجتماعي - جامعة القديس يوسف.

جاء هذا الأب الهولندي إلى لبنان عام ١٩٦٦ (داغر، كارول، ٢٠١٣)، فتعلّم اللغة العربية وتابع دروساً في الآداب العربية وفي تفسير القرآن وفي الصوفية وفي الإسلام. ودفعه إهتمامه المُفعَم بالفقراء وتوقه للعدالة الإجتماعية إلى الدخول في معترك الخدمة الإجتماعية وكما كان يقول تبعاً لقريبين منه: **"لا تكفي طيبة القلب، فالخدمة الإجتماعية مهنة تُكتَسَب بالتعلّم"**. في صيف ١٩٧٤، عُيّن في تعنايل واختار أن يمارس في منطقة قُرى الهرمل ودير الأحمر وحدث بعلبك المختلطة والأشد حرماناً، كما كان يقول.

غاب عن لبنان عام ١٩٧٥ وعاد إليه مطلع خريف ١٩٧٦ مع وعيه الكامل بالمخاطر التي تواجهه، وإستقرّ في بلدة برقا التي كانت معروفة بإنقساماتها العائلية والعشائرية، وأخذ على عاتقه القرى المجاورة حيث مارس عمله الرعوي-الإجتماعي.

بادر هذا الأب بعودته إلى إستكمال المشاريع التي كان قد باشر فيها قبل غيابه محاولاً إعادة الحياة إلى المنطقة التي أرهقتها سنوات الحرب الأولى. إكتشف العادات العشائرية والإنقسامات السياسية والعائلية والأحقاد المتوارثة ومنزلقات أعمال الثأر، فأطلق نشاطات تتوافق مع هذا الواقع. كان همّه الأساسي أن يُبقي السكان في قراهم وأن يسعى إلى إرساء السلام بين العشائر وبين الأديان، فقرّر أن يُعلن الحرب على الحرب على طريقته، الحرب الخارجية والحرب الداخلية، كما قال أحد مَن عرفوه.

ساعد في شقّ الطرقات الزراعية، وأقنية جرّ المياه، وشراء الأدوات الضرورية للزراعة، وساهم في بناء المدارس والمستوصفات وتأمين قاعات للإجتماعات واللقاءات وفي تحسين الطرقات وتأمين ظروف حياة أفضل، بقدر المستطاع، في ظروف أمنية ومعيشية صعبة. وأنشأ مشغل خياطة للنساء مازال قائماً حتى اليوم. كلُّها مبادرات ومشاريع غيّرت شيئاً فشيئاً من واقع عدد كبير من العائلات. كان يطلق المشاريع ويبحث عن مصادر تمويلها ويحثّ على مشاركة جميع السكان مشاركة فاعلة، ويهتمّ بشكل خاص بإبراز النجاحات الجماعية ويسعى دوماً إلى المصالحة بين الأخصام ووضع حدّ للحرب بين العائلات والعشائر.

كان يعارض بطريقته تقسيم البلد ويؤمن بالتواصل بين الأديان وبالعيش المشترك، كان همّه مساعدة الناس على مساعدة أنفسهم. وبالطبع كان، إلى جانب كل ذلك، يقوم بأعماله الرعوية في منطقة البقاع الشمالي، كونه كاهن يسوعي، إلى جانب كونه عامل إجتماعي.

تمتّع هذا الأب بقدرة الملاحظة والرقّة والتواضع والإنفتاح إلى جانب طبعه المنهجي الدقيق وجديّته وصرامته الخلقية وشجاعته وقدرته على الإنسجام مع كل الأوضاع.

كان دائماً يردّد: **"يجب أن نسير إلى الأمام فالحبّ أقوى من البغض..."**.

تابع إلتزامه الإنساني والمهني تجاه المنطقة التي اختار أن يكون فيها بعزم وعناد، وظلّت التنمية الإجتماعية والإقتصادية والطبية والتربوية من أولوياته، وحقّق في خمسة سنوات ما كان غيره يحتاج لأضعافها، إلى أن إختُطِفَ في ١٣ آذار ١٩٨٥ على طريق شعث- نيحا، وفي الأول من نيسان وُجِدت جثّته مشوّهة ودُفِن في تعنايل. وكما قال أحدهم: **"روى هذا الغريب بدمه الأرض عند أقدام أرز لبنان، بعد أن ساعد على ريّها بمياه الينابيع. لقد صاغ أمنيته: أن أكون سماد أرض البقاع الشمالي الخصبة والمهملة. في هذه الأرض تنمو اليوم جميع أنواع الثّمار، وينمو خصوصاً العمل، والأمل، والمحبة. في هذا المكان الذي أخرجه من حيّز النسيان، في أقاصي البلاد، يرتبط إسم هذا الأب اليسوعي بالأشجار المثمرة، والمياه الجارية في البساتين، وجوقة الكنيسة، وضحكة الأولاد في ملعب المدرسة."**

خـاتمـة

في الختام، كان على العمل الإجتماعي في هذه المرحلة مواجهة تحديات كبيرة، وكان على العمّال الإجتماعيين التحلّي بالثبات والعزيمة والأمل. جئنا على ذكر القليل من المبادرات والتجارب وما زال الكثير منها بحاجة للتوّقف عنده وإبرازه.

ومن خلال الصورة الموجزة التي نقلناها عن مبادرات قام بها عدد من العمّال لإجتماعيين خلال سنوات حرب ١٩٧٥، نستطيع القول أنهم بمجملهم لم يتوقّفوا عند أعمال الإغاثة، رغم الحاجة الماسة إليها حينها، ورغم ضرورتها وأهميّتها، بل تخطّوها ليدخلوا في مفهوم "**الخدمة الإجتماعية**" و"**العلاقة الإنسانية**" مع الأشخاص الذين كانوا بحاجة لها.

على هذا الأساس قام العمّال الإجتماعيون على استنباط القدرات الإيجابية الكامنة لدى الأفراد والجماعات، ولم يتوقّفوا عند ردّات الفعل السلبية سوى من باب تسهيل الإصغاء والتفهّم، فحاولوا هكذا جاهدين بلورة الطاقات الدفينة ودعمها وتنظيمها من أجل تفعيلها وتأمين مسارات ديمومتها.

حاولوا إبراز الإيجابيات التي تجمع، وتخطّي السلبيات التي تفرّق، فأصبح العمل المشترك مدخلاً لإعادة بناء المصلحة المشتركة، وأصبح الإصغاء إلى الآخر المغاير طريقاً إلى إعادة النظر في العداوات والأحقاد.

حاولوا إبتكار وسائل عمل جديدة وملائمة ونهج إعمار له طابع إنساني وحقوقي. وفي إطار هذا الطابع ساهموا، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال العلاقة الإنسانية والمهنية التي بنوها مع كل مَنْ ساعدوهم، في حثّ المتباعدين على بناء علاقات القُربى فيما بينهم، ودفعهم على إعادة النظر بإنقساماتهم المتراكمة.

حاولوا إشراك الناس في مواجهة مشاكلهم وصعوباتهم، وتوصّلوا عبر تعاطيهم معهم من خلال مفهوم "**الخدمة**"، من جعل مستهلكيّ الخدمات، مقدّمين لها، أو أقلّه، مشاركين فاعلين فيها.

حاولوا تصويب مساعدة الأفراد والجماعات لكي يصبحوا مُمأسسين لمشاريعهم الجماعية. وراهنوا على أهميّة المجتمع ودور مؤسّسات الدولة انطلاقاً من المفهوم الحقوقي والمجتمعي الشامل.

نعم، حاولوا، بشجاعة وثبات وأمل.

لكن الحروب استمرّت في لبنان والمآسي تمادت في تراكمها.

ولعلّ التشبّث بالقيم المدنية والتمرّس الدائم بالقواعد المهنية والإلتزام بالحقوق الإنسانية والتمسك بالجرأة في الدفاع عن المهمّشين والمستضعفين، كلها أسس تحمل في طيّاتها الأمل في المستقبل.

على أمل بغدٍ أفضل.